التقوى
المجلد ٣٤ - العدد ٥
ربيع الأول والثاني ١٤٤٨هـ سبتمبر - أيلول ٢٠٢٦

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

سبتمبر 2026 | المجلد 39 | العدد 5

ربيع الأول والثاني 1448 هـ /أيلول- سبتمبر 2026

2 | **كلمة التقوى**
تمييز الخبيث من الطيب، في الطعام، والتاريخ أيضا!

4 | **في رحاب القرآن**
التوحيد في مواجهة دعوى بنوّة المسيح

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
من هدي النبي ﷺ في فضائل السلوك

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
بين صلاح الرعية وصلاح السلطان

10 | **يَوْمُ بَدْر، وَشَهَادَاتٌ شُهُودِ عَيَانٍ مِنْ مَوْقِعِ الحَدَث**
خطبة الجمعة ٢٠٢٣/٧/٧م

20 | **نماذج من تهذيب القرآن فطرة الإنسان ..**
د. ريهام سنون

24 | **جَوْهَرُ تَحْلِيلِ وَتَحْرِيمِ الطَّعَامِ فِي شَرِيعَةِ الإِسْلام**
سامح مصطفى

28 | **النفس القلقة، والرحلة إلى عالم السكينة**
الداعية دانيال محمود أحمد

33 | **تعاطي الكحوليات ومرض السرطان.. الحلقة المفقودة التي عثر عليها الإسلام**
البروفيسورة أمة الرازق كرمايكل

لإنسان، الذي هو صنع الله البديع، خُلِق ذواقا مختارا، للغذاء، وللآراء. ونصر بدر، حيث غلبت فئة قليلة مستضعفة أخرى كثيرة طاغية، حدث حري بالعرض على موائد الدرس والنقاش، لا سيما وقد أدلى غير واحد بشهادته من موقع ذلك الحدث المهيب .

تمييز الخبيث من الطيب، في الطعام، والتاريخ أيضا!

يطل علينا شهر سبتمبر حاملا معه بواكير الخريف، ودعوة للقراءة المتأنّية التي تستدعي التأمل في نواميس الكون وسنن الاجتماع البشرى. إننا في هذا العدد الجديد نضع بين يدي القارئ المثقف رحلة فكرية لا تكتفي بملامسة السطح، بل تغوص في عمقِ واحدٍ من أكثر المفاهيم الحاكمة في التصور الإسلامي والإنساني على حد سواء، وهو مفهوم التمييز. ذاك الميزان الدقيق الذي وضعه الخالق ليكون معياراً للفرقان بين الخبيث والطيب، لا في عالم المادة وما يدخل الأبدان فحسب، بل في عالم الأفكار والحوادث، وما يستقر كذلك في الأذهان، من روايات تاريخية وتصورات حضارية.

والحياة في جوهرها ليست إلا سلسلة متصلة من الاختيارات التي تنبني عليها القرارات، وكلما ارتقى وعي الإنسان، ازدادت قدرته على تمييز الجوهر من العَرَض، والحق من الباطل. ومن هنا جاء هذا العدد ليؤكد أن الشريعة الغرّاء التي فصّلت في أحكام الأبدان، لم تغفل عن صياغة منهج نقدي لبناء الأذهان وتفنيد الأخبار الكاذبة التي تُشاع لإثارة الفتن، والذعر، والاضطراب بين الناس التي قد تشوب تاريخ الأمم وسِيَر المُصلِحين.

نستهل رحلتنا في هذا العدد بالوقوف عند المظاهر المادية لهذا التمييز، عبر تأمُّل فلسفة الغذاء في الشريعة الإسلامية. إن الإنسان في الرؤية القرآنية لم يُخلق ليكون مجرد آكل يتبع غريزته، بل خُلِق مختاراً يربط بين ما يتناوله وبين مستوى تحضُّره السلوكي والروحي. إن مفهوم الحلال الطيب يتجاوز مجرد الإباحة القانونية ليدخل في حيز الجودة الوجودية؛ فالطيب هو ما صفا من الكدر، وصلح به البدن، وتزكّت به النفس.

إن الشريعة حين وضعت ضوابط دقيقة لما يَحِلُّ ويَحْرُم من الطعام، كانت تؤسس لمنطق الاختيار الواعي؛ فكلما زادت قدرة المرء على الامتناع عما يضره أو يشينه، ارتقى في مدارج التحضر الإنساني. إن الخبيث من الطعام ليس مجرد مادة محرمة، بل هو طاقة سلبية تؤثر في كينونة الإنسان وتطبع سلوكه بطابع يبتعد به عن الفطرة السويَّة. لذا، فإن التمييز على مائدة الطعام هو التدريب الأول والأساسي للإنسان، ليتعلم كيف يميز بين الأفكار على مائدة الجدل والحوار، وفي معترك الحياة السياسي والاجتماعي.

وإذا انتقلنا من تمييز الأعيان في الطعام إلى تمييز الحقائق في التاريخ، نجد أن التاريخ في كثير من أحيانه يُكتَب بأقلام الأهواء، أو تضيع تفاصيله تحت ركام النسيان، لكن المنهج الإسلامي الرصين يعلمنا تحرّي شهادات العيان، والتمحيص في صدق الرواة؛ فاستحضار تفاصيل الأحداث التاريخية العظيمة، كَيَوم بدر مثلا، ليس من قبيل التغني بأمجاد السلف الصالح وحسب، بل لنتعلم كيف أن الله ﷻ قد يلقي الرعب في قلوب أهل الخُبْث مهما بلغت قوتهم، ويؤيد الطيبين وإن قل عددهم. إن قراءة التاريخ

جد أن التاريخ في كثير من أحيانه يُكتَب بأقلام الأهواء، أو تضيع تفاصيله تحت ركام النسيان، لكن المنهج الإسلامي الرصين يعلمنا تحرِّي شهادات العيان، والتمحيص في صدق الرواة؛ فاستحضار تفاصيل الأحداث التاريخية العظيمة، كَيَوم بدر مثلا، ليس من قبيل التغني بأمجاد السلف الصالح وحسب، بل لنتعلم كيف أن الله ﷻ قد يلقي الرعب في قلوب أهل الخُبْث مهما بلغت قوتهم، ويؤيد الطيبين وإن قل عددهم.

بعين التمييز تكشف لنا كيف أن الموازين الإلهية تختلف عن الحسابات المادية الجافة، وأن الطيب من المواقف هو الذي يخلُد ذكره، بينما يذهب الخبيث جفاءً كزبد البحر﴿... فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ...﴾ (الرعد: ١٨).

إن إعادة قراءة تاريخ الأمم بعيدا عن المركزية الغربية هو نوع من تمييز الخبيث من الطيب في السرديات التاريخية الكبرى؛ فالحضارة الإسلامية قدمت للعالم منهجا في التفكير، وفي الإدارة، وفي العلوم، كان هو المحرك الحقيقي للتحولات المذهلة التي شهدتها ممالك كانت معزولة ومنطوية على ذاتها، لولا تلاقحها مع ذاك المد الحضاري الذي حمله المسلمون.

ويصدر هذا العدد من مجلة التقوى وفكرة التمييز في كل شيء تأخذ من موادّه بحظٍّ وافر، ففي خطبة سيدنا أمير المؤمنين المُتخيَّرة لهذا لعدد، يصطحبنا (أيده الله تعالى بنصره العزيز) في رحلة إلى الماضي، الأصيل، والموروث وَيَوْمِ بَدْرٍ، وَشَهَادَاتِ شُهُودِ عَيَانٍ مِنْ مَوْقِعِ الحَدَث. وفي زاوية المقالات، ثمة مقالان يتناولان فكرة ملف العدد من منظور ما يحل ويحرم من الطعام من منظور الشريعة الإسلامية، أحدهما من حيث التعميم النظري في التحليل والتحريم، والآخر من حيث التخصيص التطبيقي في تحريم الخمر. ثم تكتمل الصورة بمقال يطرح فيه الكاتب الرؤية الإسلامية في تهذيب الفطرة من خلال ترشيد استعمال الجوارح، وأخيراً، مقال يُعالج همًّا شائعًا من هموم هذا العصر، وكل عصر.. اضطراب القلق، وكيف تتجاوزه النفس للوصول إلى بر الطمأنينة، في عالم يعج بالمتغيرات اليومية المتلاحقة بسرعة تفوق سرعة استيعابها.

وفي الختام نؤكد أن رسالة التقوى في هذا الشهر هي دعوة لأولي الأبصار والبصائر ليكونوا من أصحاب الفرقان. إن العالم اليوم يموج بالفتن، وتختلط فيه الحقائق بالأكاذيب، ويقدم فيه الخبيث في قوالب براقة، سواء في مأكلنا ومشربنا، أو في السرديات التاريخية التي تحاول طمس هويتنا، أو حتى ما يقدم إلينا من برامج إعلامية وإخبارية. ففي خضم ذلك التزييف، ما من طوق نجاة سوى التمسك بمنهج الشريعة في التمييز. وكما نتحرى الطيب في طعامنا صيانة لأبداننا، علينا كذلك تَحرّي الصدق والحق في قراءة تاريخنا صيانة لعقولنا وأرواحنا. والإسلام، بجلال شريعته ونصاعة سير رجاله يظل هو الميزان الذي لا يميل، والبوصلة التي تهدينا إلى سواء السبيل.

التوحيـــد في مواجهة دعوى بنوّة المســـيح

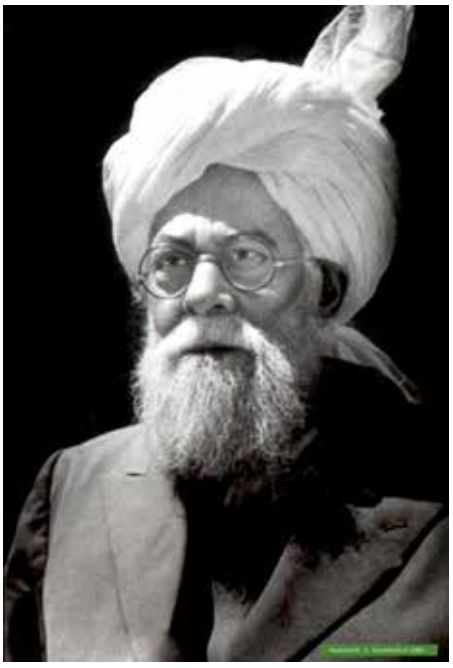

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٩﴾
لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٩٠﴾
تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩١﴾
أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (مريم ٨٩)

التفسير:

يبين الله تعالى هنا أن هؤلاء يزعمون أن المسيح سيشفع لهم. وأنَّى للمسيح أن يشفع لهم! لقد كان عبدًا موحِّدًا لنا، ولكنهم يتخذونه شريكًا لنا؛ وحيث إنه لا مشابهة بينهم وبين المسيح الموحد، فكيف يمكن أن يتمتعوا بشفاعته. إنما تكون الشفاعة للمثيل المشابه، ولكنهم ليسوا مماثلين للمسيح. إنهم يخالفون تمامًا تعليم المسيح حيث ﴿قالوا اتخذ الرحمن ولدًا﴾، مع أن اتخاذ الولد يتعارض مع صفة الله الرحمن.

علمًا أن هذا لا يعني أبدًا أن المسيحيين كانوا يؤمنون بأن الله رحمن. كلا، إنما هذا أحد أساليب الاستدلال حيث تُربط النتيجة بالأمر الواقع الثابت سواء صدّقها الخصم أم لا. وهذا ما فعل الله تعالى هنا. فبرغم أنهم منكرون لرحمانية الله تعالى، إلا أن الحقيقة أن الله تعالى رحمن، ويستحيل أن يحتاج رحمن إلى ولد، فثبت أن دعوى المسيحيين غلط يقينًا. فأملهم في شفاعة المسيح، رغم هذا الادعاء الباطل، لخطأ فادح.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (مريم ٩٠)

شرح الكلمات:

إدًّا: ورد في المفردات «قال تعالى ﴿لقد جئتم شيئًا إدًّا﴾.. أي أمرًا منكرًا يقع فيه جلَبَةٌ».

لقد صور الله تعالى هنا الشرك بأقبح صورة، مبينًا أن الشرك أمر منكر شنيع مناف للفطرة السليمة، بحيث لا يتمالك الإنسان الشريف من أن يبدي استنكاره الشديد نحوه، ولا يتحمله في أي حال، بل يثير ضده احتجاجًا عنيفًا.

اعلم أن المنكرات أنواع، فمن المنكر ما يضحك منه الناس، ومن المنكر ما يغض الناس عنه الطرف، ومن المنكر ما يعبسون منه، ومن المنكر ما يثيرون عليه ضجة وجلبة. وقد بين الله تعالى باستخدام لفظ ﴿إِدًّا﴾ أن هذا منكر لا تقبله الفطرة الإنسانية، ويثير الناس بسببه جلبة وضجة.

التفسير:

لقد صور الله تعالى هنا الشرك بأقبح صورة، مبينًا أن الشرك أمر منكر شنيع مناف للفطرة السليمة، بحيث لا يتمالك الإنسان الشريف من أن يبدي استنكاره الشديد نحوه، ولا يتحمله في أي حال، بل يثير ضده احتجاجًا عنيفًا.

وهذه حقيقة ثابتة. ولذلك تجد المسيحيين الآن يفسرون الثالوث بطريق آخر فرارًا من المطاعن والاعتراضات التي أثارها الإسلام.

ولكن الغريب المؤسف أن الله تعالى يقول هنا إن على كل إنسان أن يرفع الصوت ضد هذه الفتنة الوثنية، ولكن الذين يحاربون هذه الفتنة اليوم بأعلى أصواتهم، جاهدين لتوطيد التوحيد في العالم ليلَ نهارَ، قد أصبحوا عند المسلمين أنفسهم كافرين ملحدين وخارجين عن دائرة الإسلام! إنهم يقابلون المسيحيين الذين يشركون المسيح بالله تعالى بكل حفاوة ومحبة، أما الذين يدعون المسيحيين إلى الإسلام لينتشر التوحيد الإلهي في العالم فيعتبرونهم كافرين!

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾
(مريم ٩١-٩٢)

شرح الكلمات:

يتفطرن: تفطَّرَ الشيءُ: انشقَّ. وتفطّرَ القضيب: بدأَ نباتُ ورقه. وتفطرت الأرض بالنبات: تصدَّعتْ (الأقرب).

فالفرق بين الفطر والتفطر أن الفطر هو إنشاء الشيء أول مرة. والتفطر هو انشقاق الشيء من شيء آخر.

هَدًّا: الهدّةُ صوتُ وقعِ الحائط (الأقرب).

التفسير:

لقد بين الله تعالى هنا أنه قد حدثت ثورة ضد الشرك في السماوات بحيث تكاد تنشق من شدتها،

كما يوشك أن ينشق صدر الأرض أيضًا بتأثير الهياج الحاصل بباطنها بسبب الشرك، وتكاد الجبال تسقط على الأرض من شدة الصدمة مع ضجة هائلة في العالم. بمعنى أن هذه الدعوى ثقيلة الوطأة على السماوات والأرض والجبال كلها. إنها ثقيلة على السماوات بمعنى أنها خلاف المشيئة السماوية.. أي أنها بعيدة كل البعد عن صفات الله تعالى وعن تصور الملائكة. وهي ثقيلة على الأرض بمعنى أنها تتنافى مع الفطرة السليمة. وهي ثقيلة على الجبال بمعنى أنها تتعارض مع عواطف الرقي التي هي أعظم ما في فطرة الإنسان. ذلك لأن عقيدة بُنوّة المسيح تستلزم الإيمان بالفداء والكفارة، والكفارة خلاف للترقيات الإنسانية السامية، ودليل على تردِّي الإنسان وضَعَتِه. وإن ما تحاول المسيحية إثباته باللجوء إلى الكفارة والبُنوّة، يؤكد الإسلام أنه ممكن للإنسان بإحرازه الترقيات العالية. وهذا يعني أن كلمات «السماوات والأرض والجبال» إنما تشير هنا إلى الكائنات الروحانية المماثلة لها. فكلما أنكر البعض إحراز الإنسان الترقيات الروحانية العالية، وكلما غضّوا الطرف عن صفات الرحمة والعفو والإحسان التي يتصف بها الله تعالى، تفطرت السماء حتمًا، إذ لا يرضى الله ولا ملائكته بهذا الإنكار؛ كما أن الأرض أيضًا ستنشق لأن الناس أيضًا لن يرضوا بهذا الزعم، ثم إن الجبال أيضًا ستنفجر وتتهدم لأن الطراز الأول من الناس أي أنبياء الله تعالى أيضًا لا يرضون بمثل هذا الظن.

إن ما تحاول المسيحية إثباته باللجوء إلى الكفارة والبُنوّة، يؤكد الإسلام أنه ممكن للإنسان بإحرازه الترقيات العالية. وهذا يعني أن كلمات «السماوات والأرض والجبال» إنما تشير هنا إلى الكائنات الروحانية المماثلة لها. فكلما أنكر البعض إحراز الإنسان الترقيات الروحانية العالية، وكلما غضّوا الطرف عن صفات الرحمة والعفو والإحسان التي يتصف بها الله تعالى...

إن الإنسان العادي سوف يستنكر هذا التعليم لأنه يرى أن هذا التعليم يسد في وجهه باب الرقي بكل أنواعه. أما الإنسان من الطراز الأول فسوف يستنكره لأنه يقول إنني قد جربت هذا الأمر بنفسي وقد أحرزت هذا الرقي فعلاً، فكيف يزعم هؤلاء الآن أن إحراز مثل هذا الرقي الروحاني مستحيل؟ فما هذا الهراء الذي أسمعه؟ وأما الله مع ملائكته فسيسخط على هذه المزاعم لأنه تعالى سيقول لقد وهبنا هذه النعم فعلاً، فكيف ينكرون بعد ذلك قدرتنا على ذلك؛ زاعمين أن الله تعالى لا يمكن أن يغفر لأحد، ولا أن يتوب على أحد، حتى ينعم عليه بقربه وزلفاه. إذًا فالسماء والأرض والجبال كلهن يَقِفْنَ احتجاجًا على هذا الزعم البغيض، بمعنى أن أهل السماء يكرهونه وكادوا يتفطرون بسببه؛ كما أن الفطرة الإنسانية أيضًا تصرخ احتجاجًا عليه؛ ﴿وتخرّ الجبال هدًّا﴾.. أي أن أصحاب الروحانية العالية أيضًا يضيقون ذرعًا ويقولون ما هذا الظلم والافتراء، فإننا

إنني كلما أحاور منكري الوحي والإلهام أقول لهم دائمًا: ماذا أفعل بأدلتكم في حين أن الله تعالى نفسه يكلّمني. لو أن الله تعالى لم ينـزل علي إلهاماته فلربما ظننت أن في أدلتكم بعض الثقل والقوة، ولكن كيف يمكن أن تؤثر فيّ حججكم القائلة بعدم نـزول الوحي والإلهام وأنا أتلقى الإلهام من الله تعالى فعلاً؟

نتمتع بهذه النعم وهؤلاء ينكرونها!

إنني كلما أحاور منكري الوحي والإلهام أقول لهم دائمًا: ماذا أفعل بأدلتكم في حين أن الله تعالى نفسه يكلّمني. لو أن الله تعالى لم ينزل علي إلهاماته

أن القرآن ليس إلا عبارة عن أفكار عالية لمحمد ﷺ (تفسير القرآن للسير سيد أحمد خان ص ٣٢)، فإني أضحك من قولهم، وأقول ما دمتُ أنا أتلقى الإلهام بكلمات محددة فكيف يستحيل نزول كلام

فلربما ظننت أن في أدلتكم بعض الثقل والقوة، ولكن كيف يمكن أن تؤثر فيّ حججكم القائلة بعدم نزول الوحي والإلهام وأنا أتلقى الإلهام من الله تعالى فعلاً؟ فالشيء الذي قد رأيته وجرّبته بنفسي وأنا من خدام محمد رسول الله ﷺ، كيف يمكنني أن أقول عنه إن المصطفى ﷺ أو المسيح الموعود عليه السلام لم يره ولم يجربه. عندما أسمع الطبيعيين يقولون

الله تعالى على رسول الله ﷺ وهو أعظم مكانة وأعلى شأنًا جدًّا. وكما قلت إن قوله تعالى ﴿وتخرّ الجبال هدًّا﴾ تتضمن هذا المعنى أي أن الروحانيين من الطراز العالي الحائزين على هذه النعم كلها حين يسمعون هذا الهراء يشعرون وكأن هؤلاء المنكرين يحاولون هدم كل المقامات الروحانية السامية التي قد تبوءوها فعلاً (يُتبع)

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

من هدي النبي ﷺ في فضائل السلوك

عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ». (صحيح البخاري، كتاب المغازي)

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ عَبْدًا، لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ .فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتَ لاَ يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ.» (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة)

عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ».(صحيح البخاري، كتاب الأطعمة)

عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلاَ يَشْرَبَنَّ بِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا». قَالَ وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا «وَلاَ يَأْخُذُ بِهَا وَلاَ يُعْطِي بِهَا». (صحيح مسلم، كتاب الأشربة)

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ – قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ – لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «يَا بِلاَلُ أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا». (سنن ابن داود، كتاب الأدب)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ. وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ». (جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ)

هكذا تكلم المسيح الموعود

بين صلاح الرعية وصلاح السلطان

واعلموا أنكم إن كنتم صالحين لأصلحَ الملوك لكم، وكذلك جرت سُنّة الله لقوم يتّقون. وانتهوا من إطراء ملوك الإسلام واستغفروا لهم إن كنتم تنصحون. ولا تتقدّموا إليهم بموائد فيها سمٌّ فيأكلون ويموتون. وأنتم تعيشون معهم في رخاء وتغترفون من فُضالتهم، فإنْ مسَّهم ضرٌّ فكيف تُعصَمون؟ وإنهم ملكوا رقابكم وأعراضكم وأموالكم، فانصحوا للذين يملكون. وقد جعلهم الله لكم كمُعِدّات، وجعلكم لهم كآلات، فتعاونوا على البر والتقوى إن كنتم تخلصون. ونبّهوهم على سيئاتهم، وأَعثِروهم على هفواتهم، إن كنتم لا تنافقون.

ووالله إنهم قوم لا يؤدّون حقوق عباد أُمِروا عليهم ولا يحافظون الفرائض ولا يتعهّدون. وتعرفونه بوجه أكسَفَ مِن بالهم وزيٍّ أوحشَ من حالهم، كأن بواطنهم مُسخت، وكأنهم أُنشِئوا في ما لا يعلمون. وتالله إنّا نرى أن قلوبهم قاسية بل أشدّ قسوةً من أحجار الجبال، وإنّ طبائعهم متوقدة ولا كالنمور وأفاعي الدِحال، وإنهم قوم لا يتضرّعون. فثبت من هذه الأفعال والأعمال، أنهم أسخطوا ربهم واختاروا طرق الضلال، وأكلوا سمًّا زعافًا ثم أشركوا فيه رعاياهم فلهُمْ سهمانِ من الوبال: يرِدُون جهنم ويُورِدون. وكل ما نزل على الإسلام فهو نزل مِن سوء أعمالهم وفساد الأفعال. فهل فيكم رجل يُفهِّمهم نتائج هذه الخصال، أيها المتكلّمون؟ فإنهم قوم ضيّعوا دينهم للأهواء والأعمال، وصاروا كأحولَ في جميع الأحوال، بل أراهم عُمْيًا لا يبصرون.

ولا أقول لكم أن تخرجوا مِن رِبقتهم وتقصدوا سبيل البغاوة والقتال، بل اطلبوا صلاحهم من الله ذي الجلال لعلهم ينتهون. ولا تتوقّعوا منهم أن يُصلحوا ما أفسدت أيدي الدجّال، أو يقيموا الملّة بعد تهافُتها وبعد ما ظهر من الاختلال، ولكلّ موطنٍ رجال كما تعلمون، وهل يُرجى إحياء الناس من الميّت أو الهداية من الضال، أو المطر من الجَهام، أو الولوج في سَمّ الخياط من الجِمال؟ فكيف منهم تتوقعون؟ وتالله إنّا لا نتوقّع صلاحهم حتى يوقظهم الاحتضار، ولكن نُدِب إلينا الإذكار. (الهدى والتبصرة لمن يرى ص ٣١ إلى ٣٣)

يَوْمُ بَدْر، وَشَهَادَاتٌ شُهُودِ عَيَانٍ مِنْ مَوْقِعِ الحَدَث

الترجمة العربية لخطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٧/٧م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

تحدثت في الخطبة الماضية في موضوع أثر رُعب المسلمين الذي قذفه الله في قلوب كفار مكة، وذكرتُ أيضا الخلاف بشأن قتال أبي جهل وعتبة وشيبة، وأن عتبة أعلن الحرب بسبب طعن أبي جهل فيه وبذلك نشبت الحرب رسميا. فقد جاء في تفصيل هذه الأحداث: ثُمّ خَرَجَ بَعْد عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، حَتّى إذَا فَصَلَ مِنَ الصّفّ دَعَا إلَى الْمُبَارَزَةِ.

عَنْ عَلِيّ قَالَ: تَقَدَّمَ عُتْبَة بْن رَبِيعَةَ وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ فَنَادَى مَنْ يُبَارِزُ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ. فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إلَى عُتْبَةَ وَأَقْبَلْتُ إلَى شَيْبَةَ، وَاخْتُلِفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ، ضَرْبَتَانِ فَأَثْخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ.

واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به إلى أصحابه وقد

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

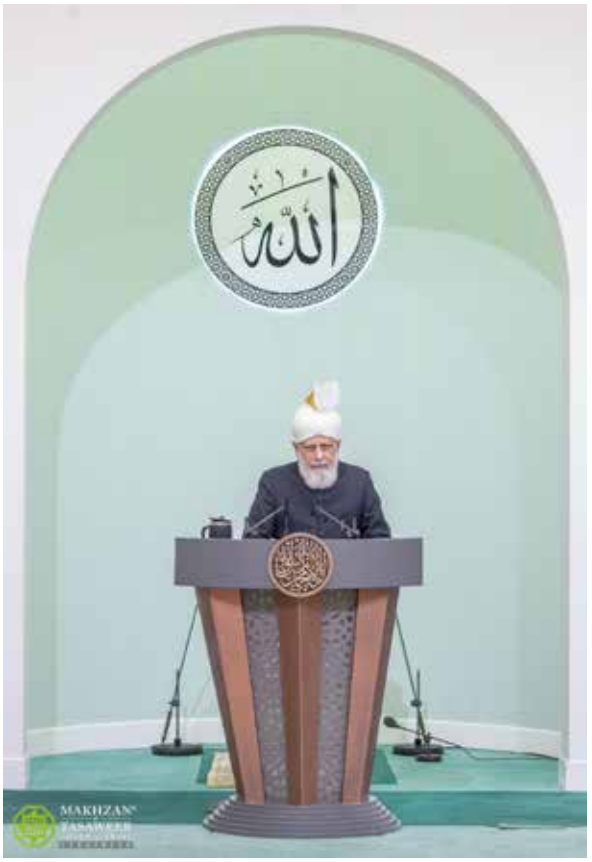

قطعت رِجله فمخها يسيل فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال ألست شهيدا يا رسول الله قال بلى.[١]

كان عبيدة ابن عم النبي ﷺ ولفظ أنفاسه في طريق العودة من بدر متأثرًا بجراحه. وجاء في رواية عن عبيدة بن الحارث ما مفاده: لما قُطعت رِجله بضربة السيف احتمله أصحابه. ولما جاءوا به رسولَ الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف النبي ﷺ، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمَه الشريفة، وقال عبيدة: يا رسول الله، لو أن أبا طالب حيّ لعلم أني أحق بقوله:

كَذَبتُم وَبَيتِ اللهِ، نَبْزِي مُحَمَّدًا
وَلَمّا نُطاعِن حولَهُ وَنُناضِلِ
وَنُسلِمهُ حَتّى نُصَرَّعَ حَولَهُ
وَنذهلَ عَن أَبنائِنا وَالحَلائِلِ

فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أنك شهيد.» [٢]

مباهلة أبي جهل

ورد أنَّ أبا جهل قال حينَ الْتَقى القَومُ: اللَّهُم أَقْطَعُنا للرَّحِم، وآتانَا بما لا يُعرَفُ، فأَحْنِه الغَداةَ.

يقول المسيح الموعود عليه السلام بهذا الشأن: دعا في أثناء معركة بدر شخصٌ يسُمّى عمرو بن هشام الذي اشتهر فيما بعد باسم أبي جهل وكان زعيم كفار قريش، فقال: «اللهم مَن كان منا أفسد في القوم وأقطع للرحم فأحنه اليوم». وكان يباهل قاصدًا بذلك نفسَه والنبي ﷺ، فكان أبو جهل يقصد من هذه الكلمات أن النبي ﷺ رجل مفسد، والعياذ بالله، ويعيث الفساد في القوم ويخلق الفُرقة في دين قريش بغير حق، وقد أتلف الحقوق القومية كلها وتسبب في قطع الرحم. ويبدو أن أبا جهل كان موقنا أن حياة النبي ﷺ لم تكن طاهرة ونزيهة، والعياذ بالله. لذلك دعا بكل حرارة ولكنه ربما ما عاش بعد دعائه هذا ولا ساعة واحدة، بل قطع غضبُ الله تعالى رأسه في ذلك المقام نفسه. أما الذي كان أبو جهل يصم حياتَه الطاهرة والطيبة فقد عاد من ذلك الميدان فاتحا منتصرا.»[٣]

وقد جاء تفصيل وقائع الحرب في موضع آخر كما يلي: كانت الحرب حامية الوطيس وكان المسلمون في مواجهة جيش يفوق جيشهم بأكثر من ثلاثة أضعاف، وكانوا مصممين على القضاء على الإسلام قضاء مُبْرَمًا، وكانوا مجهزين تجهيزًا جيدًا بينما كان عدد المسلمين قليلا وكانوا قد ضربتهم الغربة والفاقة. وكانوا من حيث الظاهر غير قادرين على الصمود أمام المكيين لأكثر من بضع دقائق،

ولكنهم كانوا نشوانين بوحدانية الله وحب رسوله. لقد وضع إيمانهم الحي –الذي لا شيء أقوى منه في العالم كله– فيهم قوة تفوق العادة. فكانوا يؤدون أعمالاً بطولية ببسالة لا مثيل لها في تاريخ البشرية، فكل واحد منهم كان حريصًا على إنجاز أكثر من غيره، وكان مستعدا، بل توّاقًا للتضحية بحياته. وقد ألحق كلٌ من حمزة، وعلي والزبير خسائر في صفوف العدو.

أول شهداء الحرب في الإسلام

ورد عن أول شهيد حرب في الإسلام ما يلي: رُمِيَ مِهْجَعٌ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطّاب بِسَهْمٍ فَقُتِلَ فَكَانَ أَوّلَ قَتِيلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمّ رُمِيَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ أَحَدُ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ وَهُوَ يَشْرَبُ مِنْ الْحَوْضِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ نَحْرَهُ فَقُتِلَ. عن أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ بن سراقة بن الحارث يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ فَجَاءَتْ أُمُّهُ (ربيعة بنت نذر وهي عمة أنس ﷺ) إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنّي فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ ﷺ: وَيْحَكِ أَوَهَبِلْتِ أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ. (٤)

حماس الصحابة يوم بدر، ومقتل فرعون هذه الأمة

أما ما كان من حماس الصحابة في هذا اليوم فقد ورد عنه أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمْ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إلّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنّةَ. فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَام، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ وَفِي يَدِهِ تَمَرَاتٍ يَأْكُلُهُنّ بَخٍ بَخٍ أَفَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنّةَ إلّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ ثُمّ قَذَفَ التّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِلَ.

وقال عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ، يَا رَسُولَ اللهِ مَا يُضْحِكُ الرّبّ مِنْ عَبْدِهِ؟ قَالَ غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوّ حَاسِرًا. فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا، ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِلَ. (٥)

وبحسب الرواية الواردة في صحيح البخاري عن مقتل أبي جهل قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنّي لَفِي الصَّفّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ الْتَفَتُّ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السّنّ فَكَأَنّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ يَا عَمّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ فَقُلْتُ: يَا ابْنَ أَخِي وَمَا تَصْنَعُ بِهِ، قَالَ: عَاهَدْتُ اللهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ فَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ قَالَ فَمَا سَرَّنِي أَنّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ، معاذ ومعوذ. (٦)

قال معاذ ﷺ: سمعت القوم وهم يقولون أبو الحَكَم لا يخلص إليه، فلما سمعتُها جعلتُه من شأني فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربتُه ضربة فَطَنَّت قدمُه بنصف ساقه. قال ﷺ: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت بها حتى طرحتها. (٧)

وفي نهاية الحرب وقف رسول الله ﷺ على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده فقال: اللهم لا تعجزني فرعون هذه الأمة، فسعى له الرجال حتى وجده عبد الله ابن مسعود ﷺ.(٨) وفي رواية قال ﷺ: اللهم لا تفلتن أبا جهل. (٩)

مَرّ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ بِأَبِي جَهْلٍ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلَى، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: انْظُرُوا، إِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فِي الْقَتْلَى، إِلَى أَثَرِ جُرْحٍ فِي رُكْبَتِهِ فَإِنّي ازْدَحَمْتُ يَوْمًا أَنَا وَهُوَ عَلَى مَأْدُبَةٍ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ وَنَحْنُ غُلَامَانِ وَكُنْتُ أَشَفَّ مِنْهُ بِيَسِيرٍ فَدَفَعْتُهُ فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ

سُـمِّي أبو جهل فرعونَ ولكنه كان أسوأ منه بحسب رأيي. لقد قال فرعون أخيرا: ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾، أما أبو جهل فلم يؤمن أبدا. هو الذي سبب الفساد كله في مكة وكان مستكبرا ومعجبا بنفسه إلى حد كبير، وكان يتحرى العظمة والشرف لنفسه. باختصار إن النبي ﷺ قد نجَّى صلحاء قومه من المجرمين والسفاكين وجاء بهم من مكة إلى المدينة كما فعل موسى عليه السلام، وأهلك أبا جهل الذي كان فرعونَ هذه الأمة في القتال في ميدان بدر.

فَجُحِشَ فِي إِحْدَاهُمَا جَحْشًا لَمْ يَزَلْ أَثَرُهُ بِه. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: فَوَجَدْته بِآخِرِ رَمَقٍ فَعَرَفْتُهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى عُنُقِه وَقَدْ كَانَ ضَبَثَ بِي مَرَّةً بِمَكَّةَ فَآذَانِي وَلَكَزَنِي، ثُمّ قُلْت لَهُ: هَلْ أَخْزَاك اللهُ يَا عَدُوّ اللهِ؟ قَالَ وَبِمَاذَا أَخْزَانِي، أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ. أَخْبِرْنِي لِمَنْ الدّائِرَةُ الْيَوْمَ؟ قَالَ قُلْت: للهِ وَلِرَسُولِه.

وأورد ابن هشام في سيرته أن ابنَ مَسْعُودٍ كان يَقُولُ: قَالَ لِي أبو جهل حين وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى عُنُقِه: لَقَدْ ارْتَقَيْتَ مُرْتَقًى صَعْبًا يَا رُوَيْعِي الْغَنَم. قَالَ ابنُ مسعود: ثُمّ احْتَزَزْتُ رَأْسَهُ ثُمّ جِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا رَأْسُ عَدُوّ اللهِ أَبِي جَهْلٍ. فَحَمِدَ اللهَ وَقَالَ: اللهِ الّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ. (١٠)

ويُعلم من رواية أن عبد الله ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه حين قتل أبا جهل أتى النَّبِيَّ ﷺ وأخبره عن قتله فذهب النبي ﷺ معه ماشيا وقال: آللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. قَالَ قُلْتُ: آللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. ثم وقف عند جثة أبي جهل وقال: يا عدو الله، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أخزاك. (١١)

عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل أمة فرعونا وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل، قتله الله شرّ قتلة، قتله ابنا عفراء، وقتلته الملائكة، وتدافّه ابن مسعود.» (١٢)

سُمِّي أبو جهل فرعونَ ولكنه كان أسوأ منه بحسب رأيي. لقد قال فرعون أخيرا: ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (١٣)، أما أبو جهل فلم يؤمن أبدا. هو الذي سبب الفساد كله في مكة وكان مستكبرا ومعجبا بنفسه إلى حد كبير، وكان يتحرى العظمة والشرف لنفسه. باختصار إن النبي ﷺ قد نجَّى صلحاء قومه من المجرمين والسفاكين وجاء بهم من مكة إلى المدينة كما فعل موسى عليه السلام، وأهلك أبا جهل الذي كان فرعونَ هذه الأمة في القتال في ميدان بدر.

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه: في بدر جاء كفار مكة، وظنوا أنهم سيقضون على المسلمين وقال أبو جهل سنحتفل بالعيد، ونشرب الخمور وأيقن أنهم لن يعودوا دون القضاء على المسلمين، لكن أبا جهل نفسه قد أجهز عليه شابان من المدينة، وكان كفار مكة يعدّون أهل المدينة من الحُقراء، وينظرون إليهم على أنهم مزارعين لا يجيدون سوى أعمال الفلاحة، فلا دراية لهم بالحرب ولا قِبَل لهم بها! وتجرَّع مرارة الحسرة بحيث لم ير تحقُّقَ أمنيته الأخيرة أيضا، فكان في العرب عادة أن سيد القوم إذا قتل في الحرب كانوا يقطعون عنقه طويلا، ليُعرف أنه سيد. فحين رآه سيدنا عبد الله بن مسعود جريحا لا حراك به سأله ما شعورك الآن؟ قال إني لا آسف على شيء سوى أن ولدين من مزارعي المدينة قتلاني، فسأله عبد الله إذا كانت

عنده أمنية أخيرة، فقال أتمنى أن تقطع عنقي طويلا، فقال له لن أحقق أمنيتك الأخيرة هذه أيضا، ثم قطع عنقه من الذقن بشدة، والموضع الذي أراد الاحتفال فيه بالنصر قد انقلب مأتما عليه، والخمر التي كان قد احتساها لم يُكتب له أن يهضمها.

قد ورد في صحيح البخاري عن رمْي النبي ﷺ الحصى إلى المشركين: عندما كان النبي ﷺ يدعو في قبة أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

وفي تفصيل ذلك يقول سيدنا مرزا بشير أحمد ﷺ في كتابه سيرة خاتم النبيين، فقد قاتل جميع المسلمين سواء أكانوا من المهاجرين أو الأنصار بكل شجاعة وإخلاص، لكن كثرة العدو وسلاحه لم تكن تترك لهم حيلة، فظلت النتيجة ملتبسة لوقت، وكان النبي ﷺ يدعو الله بضراعة وابتهال بانتظام، وكان اضطرابه يكثر كل لحظة، وأخيرا نهض من السجدة وخرج من القبة يردد بشارة الله﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾

يقول الإمام الرازي في تفسير آية:﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، من سورة الأنفال:

لما طلعت قريش قال رسول الله ﷺ هذه قريش، قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذّبون رسولك «اللهم إني أسألك ما وعدتَني» فنزل جبريل وقال: خذ قبضة من تراب فارمِهم بها، فلما التقى الجمعان قال لعلي أعطني قبضة من التراب من حصباء الوادي، فرمى بها في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه. فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا. ثم قال:﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ يعني أن القبضة من الحصباء التي رميتَها، فأنت ما رميتَها في الحقيقة، لأن رمْيَك لا يبلغ أثرُه إلا ما يبلغه رميُ سائر البشر، ولكن الله رماها حيث نفَّذ أجزاءَ ذلك التراب وأوصلها إلى عيونهم. فصورة الرمية صدرت من الرسول ﷺ وأثرُها إنما صدر من الله ﷻ. (١٤)

يقول سيدنا مرزا بشير أحمد ﷺ عن هذه الرمية في ميدان المعركة: خرج النبي ﷺ من القبة وأجال نظره في الجهات الأربع فوجد المقاتلين مستعدين للقتل والهلاك، فأخذ قبضة من الرمل والحصى فرمى بها في وجوه الكفار وقال بحماس: شاهت الوجوه، وقال للمسلمين هاجِموا دفعة واحدة. فلما سمع المسلمون نداء سيدهم الحبيب كبروا الله وهاجَموا فورا. وفي الطرف الآخر ما إن رمى قبضة من الرمل إذ هبَّت عاصفةٌ بدأت عيون الكفار ووجوهُهم وآذانهم تمتلئ بسببها من الرمل والحصى. فقال هذا فوج ملائكة الله قد جاء لنصرنا. وجاء في رواية أن بعض الناس رأوا هؤلاء الملائكة آنذاك. على كل حال كان سادة قريش كعُتبة وشيبة وأبي جهل قد قُتلوا، والآن نتيجة هذه الهجمة الفورية وهبوب العاصفة فجأة اندحرت قريش وهرب الكفار عاجلا، وبعد قليل كان الميدان خاليا. (١٥)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: في درجة اللقاء هذه

... سيدنا ومولانا سيد الرسل خاتم الأنبياء ﷺ حين رمى بحفنة من الحصى إلى الكفار في معركة بدر، فما رماها بواسطة دعاء، بل رماها ﷺ بقوته الروحانية هو، ولكن تلك الحفنة أظهرت قدرة الله تعالى وتركت في صفوف جيش العدو تأثيرا خارقا للعادة بحيث لم يبق منهم أحد لم يُصب تأثيرُها عينَه، فصاروا جميعا كالعميان وسادهم الفزع والقلق حتى بدأوا يهربون كالمذهولين. فإلى هذه المعجزة يشير الله جلّ شأنه في آية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾

تصدر عن الإنسان أحيانا أعمالٌ تبدو وكأنها تفوق قدرات البشر وتتسم بصبغة قدرة الله، كما أن سيدنا ومولانا سيد الرسل خاتم الأنبياء ﷺ حين رمى بحفنة من الحصى إلى الكفار في معركة بدر، فما رماها بواسطة دعاء، بل رماها ﷺ بقوته الروحانية هو، ولكن تلك الحفنة أظهرت قدرة الله تعالى وتركت في صفوف جيش العدو تأثيرا خارقا للعادة بحيث لم يبق منهم أحد لم يُصب تأثيرُها عينَه، فصاروا جميعا كالعميان وسادهم الفزع والقلق حتى بدأوا يهربون كالمذهولين. فإلى هذه المعجزة يشير الله جلّ شأنه في آية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ أي أنك لما رميت هذه الحفنة من الحصباء فلم ترمها وإنما رمتها يد الله تعالى، أي أن القوة الإلهية عملت عملها في الخفاء، ولم يكن هذا في نطاق قدرة البشر. (١٦)

على كل حال، بعد قليل ظهرت بوادر الفشل والاضطراب في المشركين وتَشَتَّتَتْ صفوفهم بهجمات المسلمين المتتالية، فلاذوا بالفرار، ولاحقهم المسلمون وألحقوا بهم هزيمة نكراء.

المسلم يحب في الله ويكره في الله

جاء في كراهية المسلم لغيره ما كان من كراهية سعد ﷺ للكفار يوم بدر، حيث ورد أن العدو لما وضعوا السلاح بعد الهزيمة وأراد الصحابة أن يأخذوهم أُسارى، رأى النبي ﷺ آثار الكراهية في وجه سعد ﷺ، أي أنه كان ينظر إلى تصرف المسلمين هذا باستياء، فقال له النبي ﷺ يا سعد، يبدو أنك تكره أسر المشركين. قال يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا أول قتال ناجح لنا ضد المشركين، وأرى أن الأفضل أن نقتل من المشركين أكثر ما نستطيع بدلاً من أن نبقيهم أحياء. أي أني أكره تركهم أحياء وأود أن نقتلهم جميعا.

شهود عيان من الفريقين على نزول الملائكة يوم بدر

وقد ورد عن نزول الملائكة في معركة بدر، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١٧) وقد صدّق النبي ﷺ نزول الملائكة يوم بدر. فقال صلى الله عليه وسلم: «هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ.» (١٨)

وقد وردت في سيرة ابن هشام روايات من الصحابة عن نزول الملائكة يوم بدر، وهي روايات كثيرة، حيث جاء أن جبريل أتى النبي ﷺ وقال: ما هي مكانة أهل بدر عندك؟ قال النبي ﷺ: إنهم أفضل المسلمين أو قال كلمة كهذه. قال جبريل: كذلك فإن الملائكة الذين شاركوا في معركة بدر هم

أفضل الملائكة.

ونقل أحد أصحاب السيرة رواية عن ابن عباس عن رجل من بني غفار قال: حضرتُ أنا وابن عم لي بدرا ونحن على شركنا، فإنا لفي جبل نرى منه مشهد معركة بدر، وننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب. فأقبلتْ سحابةٌ، فلما دنت منا سمعنا فيها حمحمة الخيل، وسمعنا فيها فارسا يقول: أَقْدِمْ حَيزُومُ. فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه بسماع هذا الصوت، وأما أنا فكدت أن أهلك، ثم تماسكت. (١٩)

وعن سهيل بن عمرو وكان كافرا عندها قال: لقد رأيت يوم بدر فرسانا على خيول بلقاء بين السماء والأرض، وكانوا يقتلون رجال قريش ويأسرونهم.

باختصار، لم ير المسلمون وحدهم الملائكة يوم بدر بل الكفار أيضا رأوهم.

وعن أبي أُسيدٍ مالكِ بنِ ربيعةَ وكان قد شهد بدرا قال بعد أنْ ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشِعْب الذى منه خرجت الملائكة، لا أشكّ ولا أتمارى.

كان قد فقد بصره عندما كان يحكي قصة بدر وقال: عندما كان بصري على ما يرام قد رأيت بأم عيني مشهد الملائكة يوم بدر فقالَلَوْ كُنْتُ مَعَكُمُ الْآنَ بِبَدْرٍ وَمَعِي بَصَرِي لَأَرَيْتُكُمُ الشِّعْبَ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ، لَا أَشُكُّ وَلَا أَمْتَرِي.(٢٠)

عن أبى داود المازني وكان شهد بدرا قال: «إِنِّي لَأَتْبَعُ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي.» (٢١)

وعن عبد الله بن عباس قال كانَتْ سيما المَلائكَة يَوْمَ بَدْرٍ عَمائِمَ بِيضًا، قَدْ أرْسَلُوها في ظُهُورِهِمْ، ويَوْمَ حُنَيْنٍ عَمائِمَ حُمْرًا. (٢٢)

وعن عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ، وَكَانَتْ سِيمَاء الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمَ بِيضًا قَدْ أَرْخَوْهَا عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا جِبْرِيلُ فَإِنَّهُ كَانَتْ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ صَفْرَاءُ. (٢٣)

ومما أورده ابن هشام أيضا عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ لَمْ تُقَاتِلْ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ سِوَى بَدْرٍ مِن الْأَيّامِ وكَانُوا يَكُونُونَ فِيمَا سِوَاهُ مِن الْأَيّامِ عَدَدًا وَمَدَدًا لَا يَضْرِبُونَ. (٢٤)

ويرى البعض أن نزول الملائكة لم يكن إلا تبشيراً للمؤمنين وتثبيتًا لقلوبهم، وإلا فإن الملائكة لم تشترك في القتال فعلا. ولكن هذا الرأي مناف لبعض الأحاديث الصحيحة. فقد ثبت في الروايات الصحيحة أن الملائكة قد اشتركوا في القتال فعلا. غير أن هناك إشكالا، وهو أن ملاكا واحدا أيضا يكفي للنصرة، فلماذا نزلت الملائكة آلافا؟!

لقد نقل الإمام ابن كثير من الصحيحين الأحاديث المتعلقة بنزول الملائكة خلال القتال ثم قال إن إنزال الملائكة وإطلاع المسلمين على ذلك كان تبشيرا للمسلمين وإلا فإن الله كان قادرا على نصرهم بدون ذلك أيضا، ولذلك قال الله تعالى وما النصر إلا من عند الله، وقال في سورة محمد: ﴿ولَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.

وقال حضرة المصلح الموعود ﷺ: في غزوة بدر قد أظهر الله وجهه لهم من خلال السحاب، أعني قبْل بداية المعركة أنزل الله مطرا ألحق بالكفار ضررا بالغا من الناحية الحربية ونفع المسلمين نفعا عظيما. كما نزلت ملائكته على قلوب المؤمنين تقوّيهم وتبثّ الرعب في قلوب الكفار، بل لقد رأى عدد من الكفار ملائكة الله بأعينهم يوم بدر، وبحسب قوله تعالى ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أهلكَ اللهُ كبراء العرب.

كذلك كتب حضرته في التفسير الصغير ملاحظة تفسيرية للآية رقم ١٢٧ من سورة آل عمران: لقد بين الله تعالى هنا أنه لم يذكر الملائكة إلا لأن البشرى في المنام أو الكشف

ترفع همة الإنسان، وإلا فإن الهدف الأساس هو نصر الله. (٢٥)

على كل حال، إن هذا كان مشهدا من الكشف وقد حصل فعلا، وقد رآه المسلمون وغيرهم أيضا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام بهذا الخصوص في كتابه التبليغ الذي هو جزء من كتاب مرآة كمالات الإسلام. وبما أن كلامه هذا باللغة العربية ويقول لي المترجمون بالعربية أحيانًا إنك تقرأ مقتبسات طويلة مما يصعب علينا ترجمتها، لذلك أسعى الآن أن أقرأ النص العربي أيضا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

«وقد جرت عادته وسنته أنه يختار الإخفاء والكتم في واقعات قضت حكمته إخفاءها، ويخلق الأهواء، فتُحشَر الآراء إلى جهات أخرى. وإذا أراد إخفاء صورة نفس واقعة فربما يري في تلك المواضع الواقعةَ الكبيرة صغيرةً مهونة، والواقعة الصغيرة المسنونة كبيرة نادرة، والواقعة المبشرة مخوّفة، والواقعة المخوفة مبشرة. فهذه أربعة أقسام من الواقعات من سنن الله كما مضى.

أما الواقعة الكبيرة العظيمة التي أراد الله أن يريها صغيرة حقيرة فنظيرها في القرآن واقعة بدر لمن يتدبر ويرى. فإن الله قلّل أعداء الإسلام ببدر في منام رسوله ليذهب الروع عن قلوب المسلمين، ويقضي ما أراد من القضاء.

وأما الواقعة التي أراد الله أن يريها كبيرة نادرة فنظيرها في القرآن بشارة مدد الملائكة كي تقرّ قلوب المؤمنين، ولا تأخذهم خيفة في ذلك المأوى. فإنه تعالى وعد في القرآن للمؤمنين وبشرهم بأنه يُمِدُّهم بخمسة آلاف من الملائكة، وما جعل هذا العدد الكثير إلا لهم بشرى، لأن فردا من الملائكة يقدر بإذن ربه على أن يجعل عالي الأرض سافلها، فما كان حاجة إلى خمسة آلاف بل إلى خمسة، ولكن الله شاء أن يريهم نصرة عظيمة، فاختار لفظًا يُفهَم من ظاهره كثرة الممدين، وأراد ما أراد من المعنى. ثم نبه المؤمنين بعد فتح بدر أن عِدّة الملائكة ما كانت محمولة على ظاهر ألفاظها، بل كانت مؤوَّلة بتأويل يعلمه الله بعلمه الأرفع والأعلى. وفعل كذلك.. لتطمئن قلوبهم بهذه البشرى، ويزيدهم حسن الظن والرجاء» (٢٦)

لقد ورد بخصوص هزيمة المشركين أنه بعد فترة ظهرت علامات الفشل والقلق في جيش المشركين، ولقد بدأت تظهر آثارها عند بدء القتال، حيث بدأت صفوفهم تتفرق جراء هجمات المسلمين المتوالية. أخذت المعركة تقترب من نهايتها كما ذُكرت سابقا. ثم تقهقرت جموع المشركين في حالة من الفوضى والهروب. طاردهم المسلمون وقتلوهم

وأسروهم حتى هُزموا تماما.

ثم ورد في مصدر آخر: انتهت المعركة بهزيمة ساحقة بالنسبة إلى المشركين، وبفتح مبين بالنسبة للمسلمين، وقد استشهد من المسلمين في هذه المعركة أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. أما المشركون فقد لحقتهم خسائر فادحة، إذ قتل منهم سبعون وأسر سبعون، وكان عامتهم القادة والزعماء والصناديد.

ذكر أسماء شهداء بدر من المهاجرين والأنصار

أما الصحابة الذين استشهدوا في غزوة بدر فعددهم أربعة عشر شهيدًا كما ذُكر، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، أما المهاجرون فإنهم:

عُبَيْدَة بِنْ حَارِثْ بِنْ مُطَّلب، وعُمَيْر بِنْ أَبِي وَقَّاص، وذُو الشِّمَالَيْن (عُمَيْر بِنْ عَبْدْ بِنْ عَمْرْو)، وعَاقِل بِنْ بُكَيْر، ومِهْجَع مَوْلَى عُمَر بن خَطَّاب، وصَفْوَان بِنْ بَيْضَاء.

أما الأنصار، فإنهم: سَعْد بِنْ خَيْثَمة، مُبَشِّر بِنْ عَبْد الْمُنْذِر، يَزِيد بِنْ حَارِث، عُمَيْر بِنْ حُمَام، رَافِع بِنْ مُعَلَّى، حَارِثَة بِنْ سُرَاقَة.

أسماء القتلى من أعلام الشرك يوم بدر

لقد قتل من المشركين سبعون قتيلا معظمهم من قريش، وأبرزهم: حنظلة بن أبي سفيان، حارث بن حضرمي، عَامِر بِنْ حَضْرَمِيّ، عُبَيْدة بِنْ سَعِيد بِنْ عَاص، عَاص بِنْ سَعِيد بِنْ عَاص، عُقْبَة بِنْ أَبِيْ مُعَيْط، عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَلِيد بِنْ عُتْبَة بِنْ رَبِيعَة، حَارِث بِنْ عَامِر، أَبُو الْبَخْتَرِي عَاصْ بِنْ هِشَام، نَضْر بِنْ حَارِث، عَاص بِنْ هِشَام (لقد ورد اسم عاص بن هشام مرتين أو أنهما شخصان منفصلان)، أَبُو الْعَاص بِنْ قَيْس، أُمَيَّة بِنْ خَلَف، أَبُو جَهْل الذي كان اسمه عمرو بن هشام.

وكان معظمهم أولئك الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ والمسلمين في مكة.

والباقي سأتناوله لاحقًا بإذن الله تعالى.

توصية بالدعاء في ظل الأوضاع المحيطة

أريد أن ألفت انتباهكم إلى بعض الأدعية. ادعوا لمسلمي فلسطين أن يسهل الله تعالى عليهم أمورهم، ويغيث المظلومين ويمنحهم القيادة أو القادة الذين يؤدون حقوقهم أو يوجهونهم بشكل صحيح ويسعون لإخراجهم من الظلم، فقد تفاقمت حالة تعرضهم للظلم والاضطهاد الآن، ويبدو أنه ليس من أحد يعتني بهم، ولا مَن يوجههم. ويمكن للمسلمين الخروج من هذه الصعوبات إذا اتحدوا.

كذلك، في السويد وفي بعض البلدان الأخرى، تم منح الحرية المطلقة للذين يقومون بأعمال سيئة باسم حرية الرأي والحرية الدينية، فبها يعبثون بعواطف المسلمين، فيفعلون شيئًا أو آخر من الأعمال الشائنة للغاية لإيذاء مشاعرهم، سواء بالإساءة إلى القرآن أو بالقدح في شرف النبي ﷺ. هيأ الله تعالى أسبابًا لبطشهم. وفي هذا أيضًا نلقي باللائمة على الحكومات الإسلامية التي بسبب تقصيراتها وخلافاتها الداخلية تتجرأ القوى المعادية للإسلام

على مثل هذه الأفعال غير المشروعة. ثم إذا صدرت ردة فعل من المسلمين فستكون مؤقتة وستكون عديمة التأثير. لذلك فادعوا كثيراً لقادة المسلمين والأمة الإسلامية، فهناك حاجة ماسة إلى ذلك.

كذلك يتم استهداف المسلمين في الأوضاع السائدة في فرنسا أيضًا، وردة فعل المسلمين خاطئة، فلن يتحقق لهم شيء من خلال أعمال الإفساد والتخريب مع المفسدين الآخرين. يجب على المسلمين القيام بأعمالهم وفقًا للتعاليم الإسلامية. فلن يحرز المسلمون نجاحات إلا عندما تتوافق أقوالهم وأفعالهم مع التعاليم الإسلامية.

على أية حال، يجب أن ندعو للعالم الإسلامي خصوصًا وللعالم أجمع عمومًا أن يحفظ الله تعالى الجميع من الظلم وأن يعم الأمن والسلام في العالم، وأن يدرك الجميع ضرورة تأدية حقوق بعضهم البعض، وإلا فإن العالم يتجه نحو كارثة كبيرة كما قلت مرارا. رحم الله العالم كله.

كذلك ادعوا كثيرا للأحمديين في باكستان أن يحفظهم الله من كل مكروه.

هناك تظاهرات كبيرة تحدث في فرنسا في الظاهر ويُظَنّ أن كثيراً من الأمور تحدث لصالح الشاب الذي قُتل، ولكن الواقع أن الموقف العام للناس -كما نسمع- هو أنهم يجمعون أموالاً للشرطي الذي تم القبض عليه، فقد تم جمع أكثر من مليون يورو للشرطي الذي يقولون عنه إنهم سيتخذون إجراءات ضده والحكومة أيضا تصدر بيانًا مؤيدًا لهذا، بينما الضحية، ذلك الشاب القتيل، فقد اقتصر المبلغ المجموع باسمه على مائتي ألف يورو . رحم الله هؤلاء ووفقهم للسير في مسالك العدل، ووفق المسلمين للاتحاد والوئام. آمين.

الهوامش:

١. النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر شهادة عبيدة بن الحارث

٢. المرجع السابق

٣. مرزا غلام أحمد القادياني، ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية المجلد ٢٣، ص ١٧٤-١٧٥

٤. صحيح البخاري، كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا

٥. سيرة ابن هشام

٦. صحيح البخاري كتاب المغازي

٧. تاريخ الطبري، ج٢

٨. السيرة الحلبية باب ذكر مغازيه ج٢

٩. تاريخ الطبري ج٢

١٠. سيرة ابن هشام

١١. مسند أحمد

١٢. سبل الهدىٰ والرشاد، جلد٤

٣١. (يونس: ٩١)

١٤. مرزا بشير أحمد، سيرة خاتم النبيين

١٥. مرزا بشير أحمد، سيرة خاتم النبيين

١٦. مرزا غلام أحمد القادياني، مرآة كمالات الإسلام

٧١. (الأَنْفال: ١٠)

١٨. صحيح البخاري, كتاب المغازي

١٩. سيرة ابن هشام، ج٢، ص٢٨٥

٢٠. تفسير القرطبي

٢١. مسند أحمد, كتاب باقي مسند الأنصار

٢٢. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور

٢٣. ابن هشام، السيرة النبوية، غزوة بدر الكبرى، شهود الملائكة وقعة بدر

٢٤. المرجع السابق

٢٥. راجع: مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الصغير، تفسير قول الله تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (آل عمران: ١٢٧)

٢٦. مرزا غلام أحمد القادياني، التبليغ

نَمَاذِجُ مِنْ تَهْذِيبِ القُرْآنِ فِطْرَةَ الإِنْسَان

تَرْشِيدُ اسْتِعْمَالِ الجَوَارِح

مصر

د. ريهام سنون

بغض النظر عن إلهية مصدره، فإن القرآن الكريم، في نظر كل من المؤمنين به وحتى غير المؤمنين به، نص تشريعي، بمعنى أنه دستور لكافة مجالات الحياة، إذ يضطلع بوضع الأساس للأخلاق والآداب وحسن السلوك، حيث نظم احتياجات الإنسان الطبيعية كالزواج والأكل والشرب والتواصل الاجتماعي.. إلخ، بحيث جعل منه شخصًا متحضرًا وأخلاقيًا. والواقع أن الأوامر والنواهي القرآنية تنسجم تمامًا مع الطبيعة البشرية لأنها تحرم كل ما ترفضه الطبيعة البشرية.

وفيما يتعلق بالزواج على سبيل المثال، وضع القرآن الكريم في سورة النساء قائمة بأصناف النسوة التي يحرم على الرجل الزواج بهن، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا.﴾[1]

ذرائع حفظ الفروج

من ناحية أخرى، حرم الإسلام الزنا، ولكن بمدى أبعد من

القرآن الكريم لم يحرم فعل الزنا فحسب، بل سعى أيضًا إلى سد الذرائع المؤدية إليه. ونظرًا إلى أن النظر هو المدخل الذي تتسرب من خلاله معظم الأفكار الشريرة إلى الذهن، فإن القرآن الكريم يأمر المؤمنين والمؤمنات بأن يغضوا من أبصارهم عندما يلتقون.....

وصية العهد القديم من الكتاب المقدس التي تقول: «لا تزنِ»[٢]، يقول القرآن: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا...﴾[٣]. فالقرآن الكريم لم يحرم فعل الزنا فحسب، بل سعى أيضًا إلى سد الذرائع المؤدية إليه. ونظرًا إلى أن النظر هو المدخل الذي تتسرب من خلاله معظم الأفكار الشريرة إلى الذهن، فإن القرآن الكريم يأمر المؤمنين والمؤمنات بأن يغضوا من أبصارهم عندما يلتقون، يقول الله تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ....﴾[٤].

إن كلمة فُروج الواردة في سياق هاتين الآيتين تحمل الكثير من الدلالات، من بين تلك الدلالات أجزاء الجسم التي لا يليق بالإنسان إظهارها، فالفَرْجُ والفُرْجَةُ: الشّقّ بين الشّيئين كفرجة الحائط، والفَرْجُ: ما بين الرّجلين، وكنّي به عن السّوأة، وكثر حتى صار كالصّريح فيه»[٥]، إضافة إلى ما سبق فإن لفظ «الفرج» يستعار للثّغر وكلّ موضع مخافة[٦]، فهو يشمل كل السبل التي تتسلل خلالها الأفكار الشريرة إلى قلب الإنسان وعقله وهذا يشمل جميع أجزاء الجسم وأعضائه فيما يُعرف بمداخل الشهوات، كالعينين والأذنين والأنف، لذلك على المؤمنين الحرص على حسن استخدام جميع السبل التي يمكن للأفكار السيئة والظنون القبيحة أن تصل من خلالها إلى عقولهم. ومن المذهل بشكل خاص أن القرآن الكريم لم يكتف بذكر هذه السبل تحت مظلة كلمة «الفروج» هذه فحسب، وإنما أعطى أيضًا أوامر أخرى رائعة من شأنها ترشيد استخدام كافة حواسنا وجوارحنا، فعلى سبيل المثال لا الحصر، علمنا القرآن الكريم كيف نمشي: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٧]، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[٨]، كما وعلمنا كيف نتحدث: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[٩]، وأمرنا القرآن الكريم أيضًا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[١٠]، و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ ... وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ...﴾[١١].

ثم قال تعالى في حث واضح على حسن معاملة الوالدين: ﴿...فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا...﴾[١٢]. وعلمنا القرآن الكريم أيضًا كيف نوجه أنظارنا، فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾[١٣].

وعلمنا كيف يجب أن تكون مجالسنا واجتماعاتنا: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[١٤].

وعلمنا كيف نستخدم آذاننا: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[١٥].. لا شك أن هذا يعني التجسس على شؤون الناس وعيوبهم، ولكن كلما ازداد الإنسان تقى، تفادى كل ما يمكن أن يعد تطفلًا وتجسسًا.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[١٦].

في الواقع، لقد سد القرآن الكريم هنا جميع مداخل الشكوك والظنون السيئة، وهي بالتسلسل: «الأذن»، و«العين»، و«القلب»، فالأذن أول طريق تدخل من خلاله معظم الشكوك إلى عقل الإنسان، والشكوك تنجم بشكل رئيس عن شائعات قد لا يكون لها أساس من الصحة، يجري بها لسان شخص، فتتلقفها أذنا آخر، ثم تنتقل منه إلى ثالث، وهكذا دواليك حتى تشيع.

والمصدر الثاني للظنون هو البصر، حيث يرى أحدهم شخصًا يفعل شيئًا ويفسره بشكل خاطئ. والمصدر الأخير للريبة والشكوك هو العقل المريض الذي قد يتوهم ما لا حقيقة له، وهكذا يتبين من هذه الآية أننا سنحاسَب على استراق السمع إلى أي شيء لا يحق لنا الاستماع له، وعلى النظر إلى شيء لا تنبغي لنا رؤيته، وعلى تبني أفكار سيئة عن الآخرين بلا دليل، لأن اتخاذ الدليل من الأذن أو العين أو القلب فقط لا يكفي للحكم على الإنسان أو لإبداء الرأي فيه.

ترشيد استعمال الجوارح

الجوارح كل عضو فاعل، أو يستعمله المرء في اجتراح شيء، أي فعله، وسميت جوارح «إمّا لأنها تجرح، وإمّا لأنها تكسب. قال عزّ وجلّ: ﴿... وَما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ...﴾، وسميت الأعضاء الكاسبة جوارح تشبيها بها لأحد هذين، والاجتراح: اكتساب الإثم»[١٧]. وجوارح الإنسان لسانه وأطرافه من يديه ورجليه. وفي إطار ترشيد القرآن لاستخدام جوارحنا فقد علمنا على سبيل المثال أن نستخدم جوارحنا في أعمال الخير حصرا، فقال بشأن الأيدي:

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٨].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[١٩].

تعلمنا هذه الآيات الطريقة الصحيحة لإنفاق أموالنا، فلا ينبغي للإنسان أن يكون بخيلًا كما لو كانت يداه مقيدتين إلى عنقه، ولا يجب أن ينفق بإسراف بحيث يهدر ثروته كلها فلا يجد نفسه قادرًا على المساهمة في الإنفاق عندما تكون هناك حاجة وطنية حقيقية للمال. لذلك على المسلمين استخدام أيديهم في الخير فقط. وإضافة إلى الإنفاق، قد كان من شروط بيعة النبي ﷺ أن لا يتورط المؤمنون والمؤمنات في جريمة السرقة: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾[٢٠]

.

صون الخصوصية

اعتنى القرآن عناية خاصة بصيانة الحقوق الفردية، وخصوصية المرء، فأمر المسلم بعدم دخول منازل الآخرين دون استئذان ساكنيها أولاً والتأكد من أنهم يرغبون في استقباله فقال:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢١].

لا يضع هذا الأمر القرآني حدًّا للتهم المحتملة فحسب، بل يعمل أيضًا على إنقاذ الأشخاص من الظهور في ظروف من المحتمل أن تثير الشكوك.كما يعلمنا أيضًا احترام خصوصية منازل ومكاتب الآخرين.

إرشادات لإحراز الصلاح

حدد القرآن الكريم الصفات التي يجب أن نتحلى بها لنكون

إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع. عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول «الم» حرف، ولكن ألف ولام وميم»

من الصالحين. يصف الله تعالى الأتقياء على النحو التالي: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢].

وبالتالي، فإن المتقين لا يقومون بالأعمال الخيرية والإنفاق في سبيل الله فحسب، ولكنهم أيضًا يكبتون غضبهم عندما يساء إليهم. وهم لا يعفون عن المسيء فقط، بل يحسنون إليه أيضًا.

التجسيد الإنساني للتعليم القرآني

لا شك أن هذه الصفات لا يمكن أن تجتمع إلا في من يتبعون القرآن الكريم بصدق، وخير مثالٍ على ذلك سيدنا محمد الذي قالت فيه أمنا عائشةُ حين سُئِلَتْ عن خُلُقِه ﷺ: «كان خُلُقُه القُرآنَ»[٢٣]. وهو نفسه ﷺ من قال عن ذلك الكتاب الحكيم: «إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع. عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول «الم» حرف، ولكن ألف ولام وميم»[٢٤].

الهوامش:

١. (النساء: ٢٣-٢٥)
٢. (الخروج ١٤:٢٠)
٣. (الإسراء: ٣٣)
٤. (سورة النور:٣١-٣٢)
٥. المفردات في غريب القرآن، مادة «ف ر ج»
٦. انظر: المرجع السابق
٧. (الإسراء: ٣٨)
٨. (لقمان:٢٠)
٩. (لقمان:٢٠)
١٠. (البقرة: ٨٤)
١١. (الحجرات: ١٢)
١٢. (الإسراء: ٢٤)
١٣. (طه: ١٣٢)
١٤. (الحجرات: ١٣)
١٥. (الحجرات: ١٣)
١٦. (الإسراء: ٣٧)
١٧. المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، مادة «ج ر ح»
١٨. (البقرة: ١٩٦)
١٩. (الإسراء:٣٠)
٢٠. (الممتحنة: ١٣)
٢١. (النور:٢٨-٢٩)
٢٢. (آل عمران: ١٣٥)
٢٣. مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار
٢٤. المستدرك على الصحيحين

جَوْهَرُ تَحْلِيلِ وَتَحْرِيمِ الطَّعَامِ فِي شَرِيعَةِ الإِسْلَامِ

مصر

سامح مصطفى

قل لي ماذا تأكل، أقل لك من أنت

الإنسان لم يخلق مجرد آكل، وإنما أيضا خُلِق مختارا ما يأكله وكيف يأكله. وكلما ازدادت عملية الاختيار تلك وضوحًا كلما ارتقت الإنسانية بوجه عام على سلم التحضر السلوكي، وقد بلغ هذا التحضر أوجه بمبعث الإنسان الكامل، ونزول الشريعة الكاملة التي وضحت ما لا ينبغي أكله وما ينبغي، وما لا يليق أكله وما يليق، بل ومتى وكيف أيضا يمكن أكل ما يليق. وقد أضحى واضحا الآن أن ما يأكله المرء يحدد مستواه الحضاري دون أدنى شك. وغير خاف الآن عن العامة ناهيك عن خواص المثقفين مدى تأثير نوعية الغذاء وطريقته في طبيعة المخلوق المتغذي، حتى إننا نسمع كثيرا في هذه الأيام عبارات ذات معنى ومغزى عميق مثل «قل لي ماذا تأكل، أقل لك من أنت». وإن أنماط الحياة على كوكبنا محدودة بأنماط الغذاء، وقد هدى الخلاق العليم كل نمط حيوي إلى نمط غذائه الذي يضمن بقاءه واستمراريته.[1]

وقد بلغ موضوع نوعية الغذاء وطريقة التغذية مبلغا عظيما، وكان من الأهمية بحيث كان من الموضوعات المطروحة على مائدة التحليل والتحريم، لقد بلغ الأمر من الأهمية بحيث نزلت سورة مباركة تحمل اسم «المائدة»، المطلع عليها يلمح إشارات عدة لموضوع الغذاء في مناسبات مختلفة.

باختصار، فإن نوعية الغذاء وطريقته يُعدَّان محددين رئيسيين لشخصية المتغذّي وطِباعه وأخلاقه. ولحضرة المسيح الموعود عليه السلام كلام مسهب في هذه القضية، نعرض إلى شيء من مقتبساته يقول فيه: «تثبت لنا التجارب أن الأغذية المتنوعة تؤثّر أيضا في الوظائف

الفكرية والقوى النفسية دون شك. انظروا مثلا إلى الذين لا يأكلون اللحوم أبدا.. كيف تضمحل فيهم قوة الشجاعة شيئا فشيئا حتى إنهم يصبحون جبناء للغاية، وهكذا يفقدون قوة محمودة هي إحدى مواهب الرحمن! ونجد على ذلك شاهدا آخر من السُنة الإلهية الجارية في الحيوانات التي تقتات على الأعشاب، إذ لا يوجد من بينها حيوان واحد له مِثلُ شجاعة الحيوان الذي يتغذى باللحوم. وهذا هو المشاهَد أيضا في الطيور. فلا شك إذًا أن الأغذية تؤثر في الأخلاق تأثيرا عظيما.»[٢]، وهذا الأمر بات من المسلم به علميا وطبيا في هذا العصر، وإن لم تتخذ الإنسانية بعد منهجا قويما في تحديد ما يليق أكله وما لا يليق، ولكنها لا محالة ستدرك شيئا فشيئا ذلك المنهج حين تتخذ الطريق الوسط، والمُبين في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.﴾[٣]

لا تحريم إلا بنص

إن مبدأ التحليل أو التحريم في الإسلام هو أن كل ما لم تحرمه الشريعة يعتبر حلالاً، وهذا مبدأ قديم قدم الفقه الإسلامي، حيث قيل «لا تحريم إلا لما ورد فيه نص»، وزاد المسيح الموعود عليه السلام هذه القضية بيانا بقوله: «الأصل في الأشياء الحل. ولا يكون حراماً إلا ما ورد بالدليل القطعي في نص شرعي.»[٤]

وها هو التشريع الإلهي ينص على: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥].. فهذه الأشياء الأربعة المذكورة في القرآن الكريم هي حرام على وجه القطعية والتخصيص، غير أننا نجد أيضا أقوالا للنبي الكريم ﷺ نهى فيها عن استهلاك بعض الأشياء الأخرى، لعلة غير علة التحريم، من هذه الممنوعات على سبيل المثال ما ورد في رواية عَنِ ابْنِ عُمَرَ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهلِيَّة»[٦]

أكُلُّ منهي عنه حرام؟!

في بيان موجز لسيدنا الخليفة الخامس، حضرة مرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز) عن فلسفة الشريعة في تحريم بعض الأطعمة، قال حضرته: «ينبغي أن نتذكر أن الشريعة الإسلامية حرمت استهلاك نوعين من الأشياء. أولاً، ما حرم وثانياً، ما منع. رغم أن مصطلح الحرام يشمل كلا النوعين لغوياً، إلا أن القرآن الكريم لم يحرم إلا أربعة أشياء جاء بيانها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤)، وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به. ثم هناك أشياء أخرى منع استهلاكها تندرج تحت ما هو ممنوع، لكنها لا تعد حراماً حسب المصطلح القرآني»[٧]..

وهذه التعاليم الشرعية فيما يتعلق بدرجات التقييد بين الحرام لذاته، والممنوع لغيره، لا تتعارض مع هذه الآية أو أي من الآيات الأخرى. وكما أن هناك عدة أنواع من الأوامر — بعضها فرض، والبعض الآخر سنة — هناك أيضاً عدة درجات من النهي: النهي المحرّم (بكسر الراء) والنهي المانع والنهي التنزيهي. وهكذا فإن هناك

أربعة أشياء محرمة والباقي ممنوع معظمه يندرج تحت النهي التنزيهي، أي يستحسن الابتعاد عنه. والعلاقة بين الحرام والممنوع هي نفس العلاقة التي بين الفرض والواجب. وبالتالي فإن ما حرم في القرآن الكريم حرم تحريماً صارماً، في حين أن ما نهى عنه النبي الكريم ﷺ أقل صرامة نسبياً، وله علة بعيدة عن علة التحريم، وهي علة قد تتعلق بالبيئة وحاجة المجتمع والاقتصاد أو الصحة العامة، فحين ينهى طبيب الأمراض الباطنة مريض السكر عن تناول الحلوى أو التمر، فإن هذا النهي لا يعني أبدا أن الحلوى والتمر وقعا في المحرمات، والعياذ بالله، ضمن قائمة المحرمات، إنما نقول أنهما واقعان ضمن قائمة المنهيات، نظرا إلى ما تقتضيه حال ذلك المريض، فليس كل حلال طيبا، كما أنه ليس كل منهي عنه حراما، وهنا يبدو بوضوح أحد مظاهر مرونة شريعة الإسلام وصلاحيتها.

ويبسط سيدنا المصلح الموعود (رضي الله عنه) الحديث في هذه القضية، فيذكر أنَّ الأوامر الشرعية بشكل عام تنقسم إلى فرض وواجب وسنة، الحرام مثل الفرض، بينما يشبه الممنوع الواجب. وكما أن الفرق بين الفرض والواجب يتحدد بالعقوبة التي تفرض لانتهاكهما، بالمثل، إذا كان لشخص ما أن يستهلك ما حرَّمه القرآن الكريم، فإن العقوبة ستكون شديدة ولا شك. وبالإضافة إلى ذلك، إذا أقدم المرء على استهلاك الأشياء التي حظرها النبي الكريم ﷺ، فإن المرء سيمنى بعقوبة أخف نسبياً. ومع ذلك، فإن كلا الانتهاكين يعاقَب عليهما، ومن شأنهما أن يجلبا سخط الله تعالى.

عندما يتناول المرء حرامًا، فإن ذلك يؤثر على إيمانه، والنتيجة المؤكدة هي الخطيئة. أما استهلاك أشياء أخرى فلا يؤدي ذلك بالضرورة إلى الخطيئة ونقص في الإيمان. فهناك بعض الطوائف المسلمة مثل المالكيين الذين يعلنون بتفسيرهم أن هذه الأشياء مسموح بها فيأكلونها. ولا يؤثر ذلك على إيمانهم، فلا يشيع الكفر ولا الخطيئة بينهم. بل كان من بينهم في الماضي بعض أولياء الله. لكن لن يجد المرء أي ولي لله يأكل الميتة أو لحم الخنزير.

«إن الحرام درجات. كل ما سوى المحرمات الأربعة تلك أشياء ممنوعة يشار إليها شعبياً على أنها حرام. إلا أنها ليست كذلك بالمعنى القرآني للحرام.[٨]

وفي معرض إجابته على العديد من القضايا اليومية، تحدَّث سيدنا الخليفة الخامس (نصره الله) عن هذا الأمر فقال: «قيل لنا أن نأكل ما هو طيب، بمعنى أنه في كل مكان وكل أمة، يجب على الناس أن يأكلوا ما يعتبر طيباً ونقياً وما يستهلكه النبلاء والمتحضرون. ومن الضروري أن نضع في اعتبارنا جميع الاستثناءات التي ذكرت من قبل أثناء القيام بذلك. قد لا يكون هناك أي اعتراض ضد أكل لحوم الببغاوات، لكنني لا آكلها لأن شعب بلدنا الكريم لا يفعل ذلك.» [٩]

يبدو هذا المشهد وكأنه نسخة مطابقة لأحد مشاهد السيرة النبوية المطهرة، حين فَقَدَّمَتْ جماعة من نجد الضَّبَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قَلَّمَا يُقَدِّمُ يَدَهُ لِطَعَامٍ حَتَّى يُحَدَّثَ بِهِ وَيُسَمَّى لَهُ فَأَهْوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ إِلَى الضَّبِّ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ النِّسْوَةِ الْحُضُورِ أَخْبِرْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا قَدَّمْتُنَّ لَهُ هُوَ الضَّبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَنْ الضَّبِّ فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَحَرَامٌ الضَّبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ

قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ قَالَ خَالِدٌ فَاجْتَرَرْتُهُ فَأَكَلْتُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيَّ.» (١٠)

آيات «النحل» الثلاث تلخص القضية برمتها

من قبيل اللطائف التي نُهدى إليها حين نكون في حضرة القرآن المجيد فك شفرة الأمثال المضروبة، وهنا نحن بصدد الحديث عن سورة النحل، ونتأمل في سر تسمية سورة كاملة باسم هذا المخلوق ضئيل الحجم، فحتى إذا كانت النحلة عظيمة النفع للإنسان خاصة وللكوكب عامة، فإن هذا لا ينفي وجود كائنات أخرى كثيرة تضاهي النحلة نفعا وفائدة، غير أن اختصاص سورة من سور القرآن الكريم باسم «النحل» فيه إشارة عظيمة إلى أن النحلة نموذج روحاني للإنسان المؤمن، فكما أن النحلة لا يستقر بها المقام إلا على طيب، ولا تفرز إلا طيبا، فكذلك المؤمن، لا يستقر به مقام إلا في مجلس يُذكر فيه اسم الله، ولا يضع في فيه إلا طيب الطعام والشراب، ولا يخرج من فيه إلا طيب الكلام.. وإذ نحن هنا بصدد الحديث عن الطعام، فهلموا لنقرأ الموضوع من منظور آيات سورة النحل، حيث يقول تعالى:

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١)

الهوامش:

١ – حاجتنا إلى الطعام، وَفلسفة الغذاء والصيام، مجلة التقوى، يونيو ٢٠١٧

٢ – مرزا غلام أحمد القادياني فلسفة تعاليم الاسلام، الترجمة العربية، ص٩، الطبعة الثالثة ٢٠١١م

٣ – (الأَعراف: ٣٢)

٤ – مرزا غلام أحمد القادياني، الملفوظات، المجلد ٢، ص ٤٧٤

٥ – (الأَنعام: ١٤٦)

٦ – صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر

٧ –إجابات على القضايا اليومية — الجزء الثاني

٨ — مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، المجلد ٢، ص ٤٩١

٩ – نفس المرجع (٧)

١٠ – صحيح البخاري، كتاب الأطعمة

١١ – (النحل: ١١٥–١١٧)

النفس القلقة، والرحلة إلى عالم السكينة

المملكة المتحدة
الداعية دانيال محمود أحمد

مشاعرنا ولوازم طبيعتنا الإنسانية

المشاعر الإنسانية التي نعرفها الآن هي نفسها تلك لمشاعر التي عرفها الإنسان الأول، إيجابية كانت أو سلبية، من جملة تلك المشاعر الكثيرة نعرف مشاعر الحب والكراهية، والسعادة والحزن، والحماس والتقاعس، والطمأنينة والقلق، فكل تلك المشاعر هي من لوازم الطبيعة الإنسانية، حتى تلك السلبية منها، فهي ليست عوارض طارئة أو أمراض نفسية ظهرت فجأة في عصرنا هذا عصر الحداثة! وشعور القلق على وجه الخصوص ليس عارضًا طارئًا أو مجرد مرض حديث، بل هو جزء أصيل من الطبيعة والتركيبة البشرية (الهلع النفسي)؛ حيث يُمثل إشارة روحية وضعت في جبلّة الإنسان لتدفعه نحو البحث عن السكينة والافتقار إلى الخالق العليم بضعفه، وليس وصمة عار أو فشلًا أخلاقيًّا. والسبيل إلى التخلص منه في أيامنا هذه يمكن أن يُقدَّم بأسلوب تكاملي يجمع بين العلاج النفسي المعاصر والإرشاد الروحي.

إحصائية مخيفة!

لأن الأرقام لا تكذب ولا تتجمَّل، يلجأ إليها المتخصصون والمهتمون؛ لوصف الظواهر والمشكلات، والبحث عن التفسيرات، ومن ثم الحلول. وثمة إحصائية صادمة أعلنتها منظمة الصحة العالمية تُخبر بأن ثلاثمائة وتسعة وخمسين مليونًا من سكان المعمورة يعانون اضطراب القلق تحت مسميات شتى.[1]

وعلى الرغم من أن هذا التدفق للأمراض النفسية يبدو كأنه إفراز خالص لتعقيدات العصر الحادي والعشرين، إلا أن

إننا نعيش في عالم يموج بالتوتر والاضطراب والخوف الوجودي من الغد المجهول، حتى غدا القلق طابعًا وسمة مميزة لجيلنا المعاصر. ومن هنا يبرز السؤال الجوهري: ما الذي يمكن أن يقدّمه لنا هذا الكتاب الحكيم، الذي شخّص بدقة متناهية أصل النفس البشرية منذ قرون طويلة؟ وكيف نستلهم من هذا التشخيص علاجًا لواقعنا اليوم؟

الحقيقة التاريخية تخبرنا بخلاف ذلك.[٢] فقبل أربعة عشر قرنًا، غاص القرآن الكريم في أعماق النفس البشرية مشخّصًا طبيعتها القلقة وجبلّتها المجبولة على عدم الاستقرار، في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا.﴾[٣]

إننا نعيش في عالم يموج بالتوتر والاضطراب والخوف الوجودي من الغد المجهول، حتى غدا القلق طابعًا وسمة مميزة لجيلنا المعاصر. ومن هنا يبرز السؤال الجوهري: ما الذي يمكن أن يقدّمه لنا هذا الكتاب الحكيم، الذي شخّص بدقة متناهية أصل النفس البشرية منذ قرون طويلة؟ وكيف نستلهم من هذا التشخيص علاجًا لواقعنا اليوم؟

القلق بوصفه بُعدًا في الطبيعة البشرية

إذا تتبعنا المعاجم العربية لفهم دلالة لفظة «هَلُوع»، سنجد أنها تعبر عن ذلك الإنسان الذي يداخله الجزع والاضطراب سريعًا أمام الشدائد، ويستسلم للإحباط عند مواجهة العقبات؛ كما أنه يبخل بما يملك من نعم ويشتد حرصه عليها، وتتكاثر أحزانه ويفقد صبره إذا حلت به المحن، فقد أورد صاحب التاج هذا المعنى فقال: «الهَلَعُ: الجَزَعُ وقِلَّةُ الصَّبْرِ، وقيلَ: هُوَ أَفْحَشُ الجَزَعِ وأَسْوَؤُه».[٤] هذا التوصيف المعجمي الدقيق أكده السياق القرآني في الآيات التي تلت مباشرة الآية العشرين من سورة المعارج، حيث قول الله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا.﴾[٥]

إننا لا نقف أمام مجرد تطابق بين معنى لغوي ودلالة مستوحاة من القرآن الكريم وحسب، بل إن التطابق يمتد ليشمل كذلك ما توصلت إليه اكتشافات العلم الحديث في مجال الصحة النفسية، عند رصده لأعراض القلق، والتي تشمل القلق الزائد والمفرط تجاه تفاصيل الحياة اليومية الرتيبة، والعجز عن السيطرة على الأفكار المقلقة وتدفق مشاعر التوتر العصبي، والشعور الدائم بالانزعاج وسرعة الاستثارة كما لو أن المرء يعيش على حافة الهاوية! ناهيك عن تشتت الذهن والمعاناة البالغة

في التركيز واستجماع الأفكار، واضطرابات النوم والأرق المستمر، وما يرافق ذلك من إعياء بدني مزمن في كثير من الأحيان.[٦]

فهذا التشابه الواضح بين التوصيفين، القرآني والطبي، يوضح لنا غاية أسمى؛ فالقرآن لا يصف فئة محدودة من الناس تعاني من خلل ما، بل يقرر حقيقة جِبِلِّيَّة، أي مغروسة في أصل فطرتنا، وهي أن الإنسان في أصل جبلّته مهيأ بطبيعته للشعور بالقلق والاضطراب. وحين ندرك هذا المنظور، نتحرر من وصمة المرض وفكرة الفشل الأخلاقي، لنرى القلق كحالة داخلية أصيلة تتطلب التفهم والتقويم، لا الإنكار والإدانة.[٧]

من تجارب الأقدمين.. كيف بلغ يونس عليه السلام مرفأ السكينة؟!

طالما يسيء بعضنا الفهم، حين يظن أن بعض الاضطرابات النفسية يكون منشؤها سوء السير والتصرُّف، ومن ثم فإنها لا تصيب صفوة الخلق من أنبياء الله ورسله! إن هذه النظرة القاصرة للضغوط والاضطرابات النفسية، ومن جملتها القلق، يفندها القرآن الكريم نفسه، حيث نجد الكثير من الوصايا الربانية لصفوة خلقه بالصبر على الأذى، كقول الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.﴾[٨]، كذلك نرى أن الله تعالى يدعو نبيه في مواضع شتى ألا يحزن، كقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.﴾[٩]، وقول الله تعالى أيضا في سياق قصة نبيه لوط عليه السلام: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ.﴾[١٠]

غاية القول إن تلك المشاعر الإنسانية السلبية لم تكن محرَّمة حتى على الأنبياء بوصفهم صفوة خلق الله تعالى؛ فقد مروا هم أيضًا بلحظات من الخوف والحزن والقلق والضيق الإنساني الطبيعي. ولنا في قصة نبي الله يونس عليه السلام عبرة بالغة؛ فبعد أن وجد نفسه في جوف الحوت، وحيدًا معزولًا في ظلمات الليل والبحر وجوف الحوت واضطراب النفس، انقطعت به الأسباب المادية وبدت حالته ضربًا من اليأس المطبق. لكنه من قلب تلك الهاوية السحيقة نادى وهو وسط كل تلك الظلمات، ملتمسًا العلاج الروحي الأنجع، وتخبرنا سورة الأنبياء عن هذا المشهد في قول الله تعالى: ﴿...فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.﴾[١١]

لقد أدرك عليه السلام في تلك اللحظة حقيقة افتقاره الكامل إلى الخالق القدير، وسلّم أمره إليه طالبًا النجاة من يأس النفس وضيق الظرف. وكانت هذه هي طريقته المثلى في مداواة قلقه وخوفه؛ ومثلما يقرر القرآن طبيعة الإنسان القلقة، فإنه يفتح دائمًا أبواب الشفاء والفرج.

تحديات القرن الحادي والعشرين

إن العبرة المستقاة من قصة يونس عليه السلام تتلخص في أن ما نعتبره اليوم مرض العصر الحديث هو في الواقع رفيق قديم للإنسانية على مر عصورها. ولعل الفارق الوحيد الذي يميز عصرنا الحالي هو الكثافة العالية والسرعة الهائلة التي ينتشر بها القلق بين سكان المعمورة، حتى إنه بات ينتقل بالعدوى!

إن العيش في عالم متسارع الخطى، تغذيه وسائل التواصل الاجتماعي وتعمق فيه الضغوط الاقتصادية المتقلبة والإفراط

في التعرض للمثيرات الرقمية، جعل أعداد المصابين بالقلق تتضاعف بشكل غير مسبوق. ومن هنا، يكتسب التشخيص القرآني أهمية خاصة اليوم؛ فالداء هو الداء منذ الأزل، لكن واقعنا يتطلب منا اليوم إعادة اكتشاف الدواء الروحي وتفعيله.

المنهج العلاجي القرآني

لا يكتفي القرآن بتشخيص الداء وتسمية المشاعر، بل يقدم دليلًا عمليًا للشفاء النفسي والروحي، فبعد أن ذكر في سياق سورة المعارج الهلع (القلق) بوصفه لازمة إنسانية بحتة، يستطرد في نفس السورة محددا سبلا مضمونة لإزالة ذلك الشعور السلبي، فيقول: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ.﴾[١٢] ففي اتساق تام مع المنهج الذي اتبعه النبي يونس عليه السلام، يوضح القرآن أن الذين يقيمون الصلاة ويعيشون حالة الافتقار الدائم إلى الله يدخلون حصنًا يَقيهم غوائل القلق.

إن هذا الاتصال الروحي يعين المرء على إدراك حقيقة كبرى، وهي أن ثمة أمورًا كثيرة في هذه الحياة تقع خارج حدود سيطرته البشرية، وأن السكينة الحقيقية لا تتحقق إلا بتفويض الأمر إلى الحكيم الخبير الذي بيده ملكوت كل شيء، مما يورث النفس طمأنينة بأن مصيرها في أيدٍ أمينة. كما يتسع هذا المنهج العلاجي ليشمل السلوك الأخلاقي والاجتماعي؛ فالذين يحفظون فروجهم ويلتزمون بالعلاقات الإنسانية والشرعية النظيفة، يجنبون أنفسهم الاضطراب النفسي والقلق الناجم عن الخيانات أو الخوف من الأمراض السارية. والذين يرسخ في قلوبهم اليقين بيوم الحساب والبعث، يجدون في حياتهم معنى وأملًا ممتدًا، على النقيض تمامًا من تيارات العدمية والعبثية التي ترى أن الحياة مجرد رحلة بيولوجية تنتهي إلى العدم واللاشيء.

إن هذه التوجيهات الروحانية القرآنية تمثل صمامات أمان حقيقية تمنح التوازن للقلب المضطرب. فالقلق ليس مجرد عارض نفسي فحسب، بل هو قضية روحية بامتياز؛ حيث يظل القلب قلقًا ومتوترًا حتى يجد مرساه وسكينته في كنف الله تعالى وحضرته ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١٣]

اتخاذ العلاج اللازم هو أيضا من اللجوء إلى الله

إننا، خلال ما تقدَّم من طرح روحاني، لا ندعو بحال من الأحوال إلى إهمال العلاج النفسي الحديث أو التغاضي عن المنجزات الطبية؛ بل هو دعوة لتبني أسلوب تكاملي يجمع بين ممارسات الطب النفسي المعاصر والإرشاد

الروحي الإسلامي، لتقديم نموذج علاجي متوازن وصامد أمام تقلبات الزمن، فإذا كنا قد علمنا سلفًا أن حال الاضطرار شرط لاستجابة الدعاء، فمن الاضطرار أن تنفد كافة وسائل المرء لبلوغ هدفه، ومن تلك الوسائل الأسباب المادية، وما لم يسلك الإنسان سبيل الأسباب المادية حتى يثبت له عدم جدواها فأنى يكون مضطرًّا إذن؟![١٤]

إن القرآن يرسم لنا طريقًا بالنفس من وضع معاناة القلق المعطِّل إلى مرتبة الوعي اليقظ بالحاجة إلى الخالق والمسؤولية تجاه الخلق.

من اضطراب القلق إلى رحاب السكينة

في نهاية المطاف، يعلمنا القرآن الكريم أن القلق ليس نقصًا إنسانيًا تجب إبادته، بل هو «رسالة وإشارة» ذكية يجدر بنا فقه مراميها. إنه تذكير دائم بضعفنا البشري، وحاجتنا الفطرية للاتصال بـ «السلام» الذي يمنح الطمأنينة. وحين يتصالح الإنسان مع قلقه باعتباره جزءًا من طبيعته وليس سقطة أخلاقية، فإنه يمتلك الشجاعة الكافية ليجعل من هذا الشعور دافعًا للبحث والاقتراب من الله، بدلًا من الهروب والإنكار.

لذا، حين تشعر في المرات القادمة بضيق في صدرك وتسارع نبضات قلبك، توقف برهة واسأل نفسك: «بماذا يذكرني هذا الخوف؟ وإلى أي حمى ألتجئ؟» وتذكر دائمًا قصة يونس عليه السلام الذي أسلم قيادة أمره ونفسه إلى المتصرف الأوَّل والأحكم، الذي هو في الوقت ذاته مقلب القلوب ومثبتها، مستيقنًا أن الأقدار كلها تجري بحكمته. واتل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ.﴾[١٥]

الهوامش:

١ – anxiety-disorders

٢ – The Quran's diagnosis of anxiety, Al-Hakam magazine, 11th June 2026

٣ – (المعارج: ٢٠)

٤ – المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحت «هـ ل ع»

٥ – (المعارج: ٢١–٢٢)

٦ – يُنظَر: القلق واضطراب القلق العام، صفحة الكلية الملكية للطب النفسي:

٧ – Daniyal Mahmood Ahmad, Anxious souls…

٨ – (الأحقاف: ٣٦) ٩ – (هود: ٣٧)

١٠ – (العنكبوت: ٣٤) ١١ – (الأنبياء: ٨٨)

١٢ – (المعارج: ٢٣–٣٦)

١٣ – (الرعد: ٢٩)

١٤ – ماهية البركة في شهر بركات الدعاء، مجلة التقوى، عدد أبريل ٢٠٢٢م.

١٥ – (الفرقان: ٧٨)

تعاطي الكحوليات ومرض السرطان.. الحلقة المفقودة التي عثر عليها الإسلام

لا يولد أحد سكيراً، ففطرة الله التي فطر الناس عليها تأبى هذه العادة السيئة أصلاً، فتعاطي الخمر إذن عادة مكتسبة بامتياز، اللهم إلا في بعض الحالات التي يرث فيها الإنسان هذا الميل بولادته لوالدين من ذوي التاريخ الطويل في الإدمان. وتعتبر خاصية إذهاب العقل وتغييب الوعي أبرز خواص المواد المخدرة عمومًا وعلى رأسها الخمر، وهي الخاصية التي من أجلها يتم تعاطي هذا السّم. ولا بد من وجود دافع حقيقي يدفع المرء إلى الإقدام على تعاطي الخمر ومن ثم إدمانها، هذا الدافع يتمثل في كافة المشاعر السلبية التي تحيق بالإنسان والتي لا يملك إزاءها خياراً سوى الهرب، كاليأس أو الإحباط أو الجزع أو الغضب أو، أو، أو... فالقائمة تطول.

هذا وقد أخذت تبرز أسباب أخرى من أجلها يقدم الناس على تعاطي الخمر، فمن المفارقات المضحكة المبكية في آن أن المجتمعات الغربية التي يُفترض أنها المجتمعات الأكثر تحضرا، هي نفسها التي يتفشى فيها تعاطي المخدرات بأنواعها، إلى درجة أن عدم اشتراك الحاضرين في ممارسات شرب الكحول يمثل في نظر البعض هناك مظهرا لسوء الأدب. من جملة المفارقات تلك أن المجتمع نفسه الذي يرفض زواج الأقارب بدعوى أنه يشكل خطراً على الصحة

المملكة المتحدة

البروفيسورة أمة الرازق كرمايكل

الإنجابية لا يرى أية غضاضة في السماح بشرب الكحول، بل لقد خطت خطوة أبعد من هذه حين قُنِّنَت مخدرات أشد سمية كالأفيون والماريغوانا، وعلى الرغم من هذا التقنين، فإنه لم يجعل من تعاطي الكحوليات والمخدرات ممارسة آمنة، فمن المعلوم أن الكحول وحدها تُعد السبب وراء وفاة ثلاثة ملايين شخص حول العالم سنويا، ومعدل الوفيات هذا يفوق معدل الوفيات جراء سرطان الرئة و«الإيدز» معًا، وعلى الرغم من تلك الحقائق والأرقام فإن كبار الساسة الإصلاحيين لا يلقون بالاً بهذا الصدد، والسبب راجع ببساطة إلى ضلوع يد التجارة في الأمر. نعم، فاستثمارات صناعة وتجارة الكحوليات وحدها على سبيل المثال تقدر بالمليارات إن لم نقل بالتريليونات، أما المخدرات الأخرى فحدث عنها ولا حرج! ولم يعد هذا الأمر من الأمور الغريبة، إذا يبلغ إجمالي ما يتم إنفاقه على المخدرات ٨٠٠ مليار دولار سنويا، بتعبير آخر يمثل حجم تجارة المخدرات حوالى ٨٪ من حجم التجارة العالمية. أما في الاتحاد الأوربي فقد تخطى حجم تجارة المخدرات حاجز المائة مليار دولار، وعلى سبيل المثال لتقريب الصورة تبلغ العوائد المالية التي يتم حصدها من مخدر ''الكوكايين'' وحده أكثر من ٨٥ مليار دولار. فمع هذه الإحصائيات الهائلة والمبالغ الطائلة لا يبقى شك في كنه الشيطان الواقف خلف هذه التجارة.[١]

خدعة تعاطي الكحول بـ "اعتدال"

رغم المعرفة العامة بأضرار الكحول يبقى ارتباطه بالسرطان من الجوانب التي لا تحظى بالتقدير اللازم. لذا سوف نركز في هذا المقال على آثار تعاطي الكحول والسرطان. لقد بينت دراسات علمية قوية خطورة الكحول حتى عند تناوله بجرعات خفيفة ومتوسطة، ودوره في الإصابة بسرطان البلعوم والحنجرة والمريء والكبد والثدي والقولون[٢]. في عام ٢٠١٢، عُزِي ما يقرب من ٦٪ من جميع الوفيات المرتبطة بالسرطان و٥,٥٪ من جميع حالات الإصابة بالسرطان إلى الكحول.[٣]

وتدعم الأدلة الباثولوجية القول بأن الشرب اليومي، حتى لو كان بكميات ضئيلة، يضر بصحة المرء وأن مجرد استهلاكه يساهم في خطر الإصابة بالسرطان.[٤] فتناول الكحول حتى بتلك النسبة المعتدلة، وإن كان تعبير الاعتدال يضاعف خطر الإصابة بسرطان الفم والبلعوم؛ ويتضاعف هذا الخطر بأكثر من خمسة مرات عند من يسرفون في احتساء الكحول.[٥] ومؤخرا نشر الصندوق العالمي لأبحاث السرطان AICR تقريرا مفاده أن الإقلاع بشكل نهائي عن شرب الكحوليات عامل هام للوقاية من السرطان، فإن كان لا محالة من شربها فلتحدد الجرعة بمرتين للذكور ومرة واحدة للإناث. [٦] لقد تضمنت تفاصيل تقرير AICR اعترافا خطيرا، وعلى شاكلته قدمت لجنة الوقاية من السرطان التابعة للجمعية الأمريكية للأورام السريرية ASCO اقتراحا بأن تقف الجمعية موقفاً مسؤولاً ونشيطاً للحد من الاستهلاك المفرط للكحول.

هل الكحول مادة مسرطنة؟!

الحمض النووي لبنة بناء جسم الإنسان واختلال تركيبه هو السمة الأبرز في مرض السرطان. إن تعاطي الكحول يضر بالأنسجة من خلال عدة آليات بما في ذلك الإجهاد التأكسدي (اختلال التوازن بين المركبات الهامة في الجسم مما يؤدي إلى تلف الأنسجة) والالتهاب وتشكل مركبات ضارة مثل الأسيتالدهيد أو الإيثانول، وهذه تؤدي إلى انخفاض في وظائف الحاجز الواقي، وضعف بناء الأنسجة، وزيادة في انهيار الأنسجة، وتفعيل دوران الخلايا (التقشر) وإصابة الميتوكوندريا (مراكز إنتاج الطاقة في الخلية الحية)[٧]. فهناك إذن علاقة واضحة وضوح الشمس التي لا يمكن إخفاؤها بغربال بين كمية الكحول المستهلكة والسرطان. فالكحول يساهم مهما كانت كمية تعاطيه في تطور مرض السرطان. لقد قدمت الدراسات الأدلة على ذلك، وتعود مسؤولية

تقييم هذه الأدلة بعقلانية وتكوين رأي مستنير إلى الناس. فهم أحرار في اختيارهم قبول الأدلة أو رفضها ومواجهة العواقب. ويبدو أن الشباب المطلعين اليوم على الأدلة الجديدة قد استرشدوا بها إذ ازداد الامتناع عن الكحول بينهم. حيث أظهرت دراسة كبيرة أن معدلات الامتناع بين الشباب ارتفعت من ١٨٪ في عام ٢٠٠٥ إلى ٢٩٪ في عام ٢٠١٥، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى زيادة الامتناع عن الكحول مدى الحياة.

الكحول وصحة المرأة

في دراسة أجريت في روسيا، تم فحص وظائف الدماغ لـ ١٠٢ شخص في سن ١٨-٤٠، لـ ٧٨ رجل مدمن على الكحول و- ٢٤ امرأة مدمنة على شرب الكحول، المجموعة الضابطة شملت ٦٨ امرأة ورجل غير مدمنين على شرب الكحول.

في الاختبارات التي كانت تتطلب الذاكرة البصرية النشطة visual working memory، المرونة الإدراكية، التخطيط المكاني وحل المشاكل، فان النساء كن أقل نجاحا من الرجال، حتى عندما شرب الرجال لفترة أطول بكثير من النساء.

وأشارت الباحثة الرئيسية أن كلا الجنسين يتعرضون لنفس الاثار السلبية التي تنجم عن شرب الكحول، ولكن النساء يتأثرن باثار الكحول بسرعة أكبر من الرجال.[٨]

الإسلام والكحول

يؤمر المسلمون بأن يقيّموا الأمور بموضوعية ويتخذوا قراراتهم بحيث تتفوق فيها المزايا على العيوب. وتستند الفلسفة الكامنة وراء حظر الإسلام للكحول على المبادئ السليمة للاختيار وعلى تقييم للأضرار والفوائد. يقول القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[٩]

وهكذا، ينص الإسلام بموضوعية تامة على الخصائص المفيدة لهذه الأشياء الممنوعة في مظاهرها/أشكالها الأخرى، ويعلمنا الاستخدام والتوظيف الأمثل للخصائص الإيجابية لكل شيء مهما قلّت. ولذلك يسمح الإسلام باستخدام الكحول في مثل تلك الظروف والاستفادة من خصائصه الأخرى كمذيب في المنتجات الصيدلانية، في حين يحظر تماماً استهلاكه كمشروب اجتماعي.

فحسب التعاليم الإسلامية ينبغي التخلي عما يضر بنا عند تناولنا إياه بكميات كبيرة. وهكذا، ورد عن النبي الكريم ﷺ أنه قال: ''كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ مَا أَسْكَرَ الْفَرَقُ مِنْهُ فَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ.''[١٠]

إن الإسلام بإدراكه للعواقب المدمرة لاستهلاك الكحول يرمي لحماية المجتمع منها. قال الرسول الكريم ﷺ ذات مرة: ''مِن حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه''. وهكذا، لا ينبغي للمرء أن يضر بصحته باستسلامه للإغراءات والانغماس في الممارسات الضارة. بالطبع، يمكن القول بأن الوقاية من السرطان ليست سوى فائدة واحدة للامتناع عن شرب الكحول، وهي حقيقة لم تكن معروفة في زمن النبي الكريم ﷺ، وبالتالي لم يكن الهدف الرئيسي من حظر الكحول مرتبطًا بالصحة ولكن من أجل الترقية الروحانية. وفي إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[١١]، يشرح المسيح الموعود ذلك المفهوم بقوله: ''... القرآن يحظر على أتباعه شرب الكحول حتى ولو لم يسكرهم بل يحظر استهلاكه تماماً. وإلا، فسوف يضلون الطريق المؤدية إلى الله ومكالمته إياهم، ولن يطهر الله مثل هذا الشخص من أدرانه. يقول القرآن إن هذه الأشياء من افتراء الشيطان ويجب أن تحمي نفسك منها.''[١٢]

لقد شهد عام ٢٠١٨ العديد من الدراسات الكبيرة والقوية والسليمة علمياً والتي تؤكد على التأثير السلبي لاستهلاك الكحول الخفيف أو المعتدل على صحة الإنسان، وتحديداً من منظور السرطان. مع اتساع فهمنا، يصبح أكثر فأكثر وضوحاً أن الآثار الضارة للكحول تفوق بكثير مزاياه. تستحق كلمات المسيح الموعود بهذا الصدد أن تُذكر وأن يُتَفكر فيها، قال حضرته:

''يحدث كثيراً ألا يُعرف أثر شيءٍ ما لعدم شيوعه على نطاق كاف. ولنأخذ مثال انتشار الكحول في الوقت الحاضر في أماكن مثل أوروبا، فلو لم يحدث هذا الانتشار كيف يمكن أن تتضح آثاره السلبية والتي يبحث العالم اليوم عن تفاديها؟ وبانتشار الإسلام كُشف جماله وجمال رسول الإسلام ﷺ الذي أوقف هذا الرجس بتحريم الكحول''.[١٣]

فها قد عرض الإسلام إلى ذكر أضرار الكحول منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، ومنع المسلمين من المشاركة في أي أنشطة تنتج وتنشر استخدام هذه المادة الضارة. نستنتج أن الأدلة العلمية القوية فيما يتعلق بالآثار الضارة للكحول تدل على توافق لا جدال فيه بين الإسلام والبحوث العلمية.

الهوامش:

١ – فهيم يونس القرشي، أم الخبائث والمخدرات.. ما لها وما عليها!!، مجلة التقوى، عدد يونيو ٢٠٢٠م.

٢ – س.سكوتشانتي، م. تشيكيني ، أ.س. آندرسن وآخرون، «القانون الأوروبي ضد السرطان، ط٤: شرب الكحول والسرطان» علم وباء السرطان ٤٥ (ديسمبر ٢٠١٦)، ص١٨١–١٨٨.

٣ – د. برود، م. روتا، ج. ريم وآخرون، «الإصابة بالسرطان والوفيات التي تعزى إلى استهلاك الكحول»، المجلة الدولية للسرطان ١٣٨، ٦ (مارس ٢٠١٦)، ص١٣٨٠–١٣٨٧.

٤ – س.م. هارتز، م. أوليرت، أ. سي هورتن وآخرون، «يرتبط الشرب اليومي للكحول بزيادة الوفيات» ، إدمان الكحول: الأبحاث السريرية والتجريبية ٤٢، ١١ (نوفمبر ٢٠١٨)، ص٢٢٤٦–٢٢٥٥.

٥ – ف. بانياردي، م. روتا، إ. بوتيري وآخرون، «استهلاك الكحول وخطر الإصابة بالسرطان في مواضع محددة: تحليل تلوي شامل للعلاقة بين الاستجابة والجرعة»، المجلة البريطانية للسرطان ١١٢, ٣ (فبراير ٢٠١٥)، ص٥٨٠–٥٩٣.

٦ – ب. فانت فيير و إ. كامبمان، الغذاء، التغذية، النشاط البدني، والوقاية من السرطان: منظور عالمي (واشنطن العاصمة: الصندوق العالمي لبحوث السرطان / المعهد الأمريكي لأبحاث السرطان)، ٢٠٠٧.

٧ – ب.إ. مولينا، ج.ب. هوك، س. نيلسون، إصابة الأنسجة بسبب الكحول»، إدمان الكحول: البحوث السريرية والتجريبية ٢٧، ٣ (٢٠٠٣): ٥٦٣–٥٧٥.

٨ – أهم أضرار الكحول، أهم المعلومات، الصفحة الطبية المتخصصة (ويب طب)

٩ – (البقرة: ٢٢٠)

١٠ – سنن الترمذي، كتاب الأشربة عن رسول الله

١١ — (المائدة: ٩١–٩٢)

١٢ – مرزا غلام أحمد القادياني، سفينة نوح

١٣ – مرزا غلام أحمد القادياني، الملفوظات ج ٣، (لندن، ١٩٨٤)، ٤٠٥.

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 39- Issue 5, September 2026

www.altaqwa.net